ياسين محمد بن حميد
الطبعة الثانية
البهلوان
مجموعة قصصية
بلومانيا للنشر والتوزيع

البَهلوان

" قصص قصيرة "

للكاتب : ياسين محمد بن حميد

إهداء

أيا قِبلَتي،وقُبلَتي،وقَبيلَتي،أيا سَكَني،وسُكْنَتي،وسَكِينَتي ،عليكِ المحبَّةُ " قِطَّتي " وبعد :

" أُهديكِ يا سَرَّ الوجودِ كِتابِيَه،فأرجوكِ أن تقبليهِ،ولإن نالَ رضاكِ فأرجو أن تُسعدِيهِ بضمَّةٍ تتلوها على غِلافِهِ قُبلّه ليظفرَ حرفي بالقليلِ منك "

ياسين محمد بن حميد

الهائِمون

جاءهُ النَّادِلُ بكوبِ القهوة،وضعهُ على الطاولة أمامهُ ورحَل،تابعهُ بعينينِ كابيَتين،مدَّ يدهُ نحوَ الطاوِلة استلَّ من عُلبةِ السجائر إحداها،دسَّها في فمهِ،أشعلها،وأشعلها فتيلَ الوجعِ معها.

أخذَ منها نفساً طويلاً،دسَّهُ في رئتيهِ دونَ أن يُطلِقه،ثمَّ فتحَ فاهُ ليخرُجَ منهُ بعضُ دُخان،أينَ الباقي...؟

إنهُ في الداخِل،لقد ابتلعتهُ جيوبُ الحُزن،جاعِلةً منهُ بَخوراً لها.

ارتشفَ من قهوتهِ رشفةً خفيفة،لامسَ الكوبَ بنصفِ شَفَة،أغلقَ عينيهِ في محاولةٍ بائسةٍ منهُ لاستعادةِ رباطةِ الفِكر،أعادَ فتحهُما بعدَ أن يئس،استحالَ ذِهنُهُ روضةً من رياض الأطفال،ضجيجٌ،وعجيجٌ،وضوضاء.

لم يعُد يُطيقُ الصَّمت،كل ما في داخِلهِ يريدُ أن يصرُخ،يريدُ أن ينفجِر،يريدُ أن يقولَ للفقرِ تبًّا.

******

على طاوِلةٍ مُقابلةٍ له،جلسَ شابَّانِ في مُقتبلِ العُمر،يتحاورانِ في قضيةٍ شائكَة،حتى إنَّ جِدالهُما أزعجَ زبائنَ المقهى.

كانَ أحدهُما يصيحُ في وجهِ صديقهِ،ويقولُ له بصوتٍ جهوري :

_ لماذا لا تعترِف بأنَّها كانت غلطةَ " زيدان ....؟ وأنهُ المسؤول عن هذه الهزيمةِ النكراء...؟

ولولا أنهُ تأخَّرَ في إشراك " أسينسو " لكانت النتيجةُ مُغايِرَة...؟

نطرَ في عينيهِ نظرةَ استنكار،ارتشفَ من كوبِ الشاي رشفةً طويلة،وأجابهُ بنبرةٍ ساخِرَة :

_ أتُريدُ أن تُقنِعَني بأنَّ لاعباً واحداً سيفعلُ ما لم يفعلهُ أحدَ عشرَ لاعِب...؟

أنتُم " المدريديون " هكذا دائماً،بعدَ كلِّ هزيمَة تضعونَ اللومَ على شخصٍ واحد،لطالما اخترتُم شمَّاعةً تلقونَ عليها هزائمكم النكراء.

استشاطَ صديقهُ " المدريدي " غضباً،وانفجرَ في وجههِ بالسُبابِ،والشتائم،غيرَ آبهٍ بمشاعِرِ الآخرين.

أما الأول فقد كانَ يضحكُ بصوتٍ عالٍ،يقهقهُ بجنون،حتى إنَّ عينيهِ دمعَت من فرطِ السعادة.

******

على الرصيفِ المُقابلِ للمقهى،كانت تسيرُ نحوه،عاقِدةً العزمَ على القُربِ منه.

تسمَّرَت أنظارهُ عليها،تقطَّعَت نبضاتُ قلبهِ،قهراً،عطفاً،حُزناً على الفقر.

ببطءٍ شديدٍ كانت تسيرُ نحوه،وفي مشيتِها انكسارٌ لا مُتناهي،لا تُخفيهِ ملابسُها الرَّثة،ولا وِشاحُها البالي من فرطِ القِدَم.

كلما اقتربَت منه أكثر،كلما تراءى له بريقُ الأمل،الممزوجِ بالخيبة،والمُستكينِ في عينيها منذُ فقرٍ بعيد.

وقفت الطِفلةُ أمامهُ بعدَ أن أضناها السيرُ نحوه وهي تجرُّ خيبتها كجيشٍ مهزوم،طالعتهُ بصمت،ومدَّت يدها أمامه.

نظرَ في عينيها نظرةً خاوية،أعلَنت دمعةٌ حارقةٌ نزولها على خدِّه،ففهِمَت أنَّهُ يكادُ يتسوَّلُ مثلها،فغادرتهُ دونما أن تنطِق.

******

على بعدِ أمتارٍ منه،وقفَت سيَّارةٌ فارِهَة،فيها من البريقِ ما يكفي للإطاحةِ بأعتى عينٍ في شركِ الانبهار.

ترجَّلَ منها شابٌ وسيم،في مُقتبلِ العُمر،يرتدي ثياباً جديدة،وكلُّ ما فيهِ يوحي بأنَّهُ ابنٌ مُدلَّل لأبٍ غني.

اتَّجهَ الشابُ إلى داخلِ المقهى،وكلُّ العيونِ تابعتهُ نحوَ وجهتهِ،حتى توقَّفَ أمام بابِ المقهى،عندما رنَّ هاتفه.

أخرجَ الهاتِف،ضغطَ على زرّ الرَّد،وقالَ بصوتٍ رقيق :

_ مرحباً يا سحر،كيفَ حالُك...؟

ماذا...؟ آه...اعذريني لقد نسيتُ ذلك...سأُحضِرُها لكِ الآن...حاضِر...لن أتأخَّرَ عليها...هل يمكنُ أن أترُكَ قِطَّتكِ وحدها عندَ الطبيب...؟ نعم...سأحضرُ لها أكلها الخاص...لا تقلقي....وداعاً.

أدارَ ظهرهُ للمقهى،بعدَ أن أغلقَ الهاتِف،وعادَ إلى سيَّارتهِ بسُرعة،حتى لا يتأخَّرَ على قِطَّةِ سحر،فهي خائفةٌ عليها من الوحدة.

******

في مُنتصفِ المقهى،كانَ العامِلُ يشطُفُ الأرضية،وهو يتمايلُ على أنغامِ أغنيةٍ شبابيَّة،وفي عقلهِ تستوطِنُ فِكرةٌ واحدة.

كان يتمايلُ،ويُردِّدُ خلفَ
المُغنِّي،ويتمايل،ويُغنِّي،ويضحك،ويصرُخ.

" أنا ملّيت،،،وفي بلادي غريب بقيت،،،

أنا ملّيت،،،علي بلادي اليوم بكيت،،،

أنا ملّيت،،،آسف بلادي لو عنك اتخلّيت،،،اتخلّيت،،،أنا ملّيت "

كانَ يردِّدُ كلماتِ الأُغنية بحُرقة،بدمعة،بحزنٍ لا مُتناهي،ويكأنَّهُ يعلنُ على الملأ موتَ الرَّغبةِ في البقاءِ على الأرض كلِّها،وليس في وطنهِ فقط.

******

بجوارِ بابِ المقهى،على جِدارٍ مصقولٍ بمهارة،علَّقَ مالِكُ المقهى قفصاً جميلاً،فيهِ زوجٌ من طيور " الكناري ".

كان الزوجانِ واقفانِ معاً على عصا صغيرة،مُعلَّقة في منتصفِ القفص،ويشدُوانِ بمزيجٍ رائعٍ من الزقزقة.

أطلقا العنان لنفسيهما،وراحا يردِّدانِ رثاءَ الحُريةِ في مقطوعةِ زقزقة.

حتى إنهما لم يُلقيا بالاً لصخبِ المكان،ولا للأصواتِ المُمتزجةِ ببعضها في الشارع.

مقطوعةُ الرِّثاء،أنستهُما كلَّ شيء.

******

في زاويةِ المقهى،عندَ شاشةِ التلفاز،جالساً كنتُ،مُمسِكاً بقلمي،ودفتري،في محاولةٍ مني للكتابة.

كنتُ أحدهُم،هائماً مثلهم،فأكملتُ المشهد،بفعلٍ أُمارسهُ كُلما جاءتني رغبةٌ في البُكاء.

لم أعد حينها أبحثُ عن فكرةٍ لأمارسَ نحيبي بالكتابةِ عنها.

كانوا هُم الفِكرة،الشيخُ طاعِنُ الفقرِ،الهائمُ في حُزنهِ...يستدعي حالهُ البُكاء على ورقة...!

الأحمقانِ اللذانِ نسيا همَّ البلاد،وغرِقا في همِّ الكُرة...حزينٌ لأجلِهما حدَّ البُكاءِ على ورقة...!

السَّمراءُ الصغيرة،ذاتُ العشرةِ أعوام،ونيِّفٍ من الفقر...آلَمتني...جعلتَ من بُكائي نصًّا على ورق..!

ذلكَ الهَبَيَّخ،المُدلَّل،الخائفُ على مشاعرِ قِطَّة،جميلٌ أن يتمتَّعَ بالإنسانية،ولكن لماذا لم يخفَ على الفتاةِ التي بجوارِ عربتهِ من الدَّهس،حتى إنَّهُ صدمها ولم يُلقِ بالاً

لها...إنَّ فعلتهُ جعلتني خائفاً حدَّ البُكاءِ على ورقة...خائفاً من تكاثرِ أمثالِه...!

عمِلُ المقهى،ذاكَ الرَّاقِصُ على أنغامِ الحُزن،مسكين،يُريدُ أن يهجُرَ بلده،وأيُّ شيءٍ قد يستدعي النَّحيب بحَرف،غيرَ هجرِ الشبابِ لأوطانهم...!

الطَّائران،إنَّهُما مشهدٌ خاص،إنَّني أعي جيّداً معنى أن تفقِدَ الحُرية،إنَّ ذلكَ يجعلُكَ خاوياً من كلِّ شيء،رثاءهما للحُرية بزقزقة،جعلَ الحروفَ تنسابُ من عيني،لا أناملي...بكيتُ على الورق...!

بكيتُ عليهم،وعليَّ،وعلى الوطن،بكيتُ على كلِّ هائمٍ منهُم.

الهائمونَ وحدهم من يستحِقُّونَ البُكاء،الهائمونَ هُم الأحياءُ الأموات.

(تمَّـــت)

ثرثرَةٌ في لمَّة

في ليلةٍ مُظلِمة،جلسَ بعدَ أن أتمَّ قراءةَ إحدى الروايات،التي رشَّحها له صديقه.

لعنَ نفسهُ على قراءتِها،ولعنَ صديقهُ الذي رشَّحها له،ولعن الكاتِبَ والمكتوب.

شعرَ بأنَّهُ قد أضاعَ وقتهُ في قراءةِ شيءٍ أقلُّ ما يُقالُ عنهُ أنَّهُ مُبتَذَل،كما حواراتُ الشَّوارع،تلكَ الحِوارات العاريةِ من الأدب،أو كما ثرثرةُ النساءِ في المُناسبات.

استغربَ كثيراً من تدنِّي أسلوبِ الرواية،قالَ في نفسهِ كيفَ تكونُ كثرثرةِ النساءِ المليئةِ بالغيبةِ والنميمة،وكاتِبُها رجُل...؟

عل يُعقلُ أنهُ سرقها من كاتِبة،ونشرها باسمه....؟ أم أنهُ هو من تقمَّصَ شخصيةَ امرأة...؟ أم أنهُ عاشَ بينَ النساءِ فتسلل إلى طبعهِ طَبعُهنَّ...؟

تخبَّطَ بينَ جنباتِ التساؤل،غاصَ في أعماقِ البحث،أملاً في الحصولِ على إجابة،لكن دونَ جدوى.

لم يجِد ما يروي ظمأ عقلهِ المُتعطِّشِ للجواب،ولم يهتَدِ إلى سبيلٍ واحد يُبيحُ للكاتِب أن ينزِلَ بأدبِهِ منزِلةَ " ثرثارةٍ في لمَّة ".

في مُنتصفِ التساؤل،أشعلَ سيجارة،أخذَ منها نَفَساً،أطلقهُ،وأطلقَ معهُ كلِماتِه.

قال بصوتٍ هادِر :

_ رُبَّ كِتابٍ،ظننتهُ كِتاباً،فاشتريتَه،لتجِدهُ " ثرثرةٌ في لمَّة ".

(تمَّـــت)

البَهلوان

نهضَ من على سرير الكشفِ في المَشفى،استقامَ في جلستهِ،وتابعَ كلِماتِ الطبيب،وهو يُردِّدُ على مسامعهِ كلماتهِ المُعتادة.

_ إنَّ ظهركَ يا أيهَم لم يعُد يحتمِل الانحناءات الشديدة،ولا التقوُّسات،إن الفقرة التاسعة متباعدة عن

باقي الفقرات،بطريقةٍ مُخيفة،وأنا حقيقةً لفي قمةِ الذُّهول لأنها لم تتسبَّب في اضطراب النُّخاع الشَّوكي،مما قد يتسببُ في شللٍ مؤقَّت.

كان يُداعِبُ لحيتهُ دون أن يُبدي أي تعبيرٍ يدلُّ على أنهُ يخافُ المرض.

استمرَّ الطبيبُ عادل يتلوا عليهِ نصائحَ الجدَّات،ويقولُ بإشفاق :

_ أنتَ لا تزالُ صغيراً،لذلكَ عليك التوقفُ عن هذا العمل،حاوِل أن تجِدَ عملاً آخر،إن ظهركَ لم يعُد يحتمِلُ الإجهاد،وكل ما يحتاجهُ الأمرُ لتُشَل هو أن تصابَ بكدمةٍ فيه،صدِّقني كدمةٌ بسيطة في ظهرك مع الكدمات الماضية ستُنهي مسيرتكَ قبل حتى أن تبدأ.

طالعَ الطبيب بنظرةٍ خاوية،ثمَّ نهضَ فجأةً،وقال وهو يتَّجهُ نحو بابِ الغُرفة :

_ شكراً لك دكتور عادل،سأُفكِّرُ في الأمر..!

صاحَ الطبيبُ خلفهُ قائلاً :

_ أرجو أن تفهمَ خطورةَ الأمر.

لكنه كان قد أغلقَ الباب خلفه،ولم يسمَع ما قالهُ الطبيب.

******

خرجَ إلى الشارِع،وراحَ يطوي المسافةَ طيًّا،مُتجهاً نحوَ ساحةِ المدينة حيثُ يُقيمُ،ويعمَل مُذ كانَ في الرابعة من العُمر.

كانتِ الشوارِعُ خاليةً في ذلكَ النهارِ القائظ،واكتسَت المدينةُ ثوباً من السكون،مما ساعدَ على تسربُلِ الأفكار إلى عقله المُكتظ بآلاف الهواجِس.

من بينِ كل الأفكار،إحداها غزَت كلَّ خلايا عقله،واستحالَت مُستعمِراً يتجبَّرُ على شعبِ أفكاره.

جاءتهُ على صهوةِ سؤال،من بعيدٍ جاءت،تُثيرُ خلفها زوبعةً من تساؤل،تركُضُ نحوهُ كثورٍ هائج،تُبعثِرُ أحجارَ الاستفهامِ على جنباتِ الخلايا،تمُرُّ في كلِّ ثنايا عقله،تروحُ وتجيءُ بينَ جنباتِ الفكِر،ثُمَّ ماذا....؟

ثُمَّ إنها وقفَت في منتصفِ عقلهِ،حطَّت رحالها حيثُ يقبعُ التشَتُّت،استوطنَت هُناك،وراحَت تتمطَّى في منطقةٍ منزوعةِ الإدراك.

الحياةُ سيركٌ كبير،وكلنا فيها إما بهلواناً وإما مُتفرِّج،إذاً لماذا يُريدُني ذلك الطبيب أن أترُكَ عملي في السيرك الصغير...؟

هكذا كان يقولُ عقلهُ الباطِن،أو عقلهُ الطاعِن،الطَّاعِنُ في التفكير،الطَّاعِنُ في كلِّ شيءٍ إلا السعادة.

تقلَّصت الفكرة داخِلَ عقله،حتى كادَت تتلاشى،وفي هُنيهةِ ثوَرانَ،انبجسَت منها آلاف الخواطِر،وراحَت الهواجِسُ تتمطى في خلايا دماغِه،كما قطٌّ في ساعةِ قيلولة.

كيفَ يُريدُني أن أترُكَ سبيلي في العلِم...؟

كيفَ أُهينُ من علَّمني أنَّ البشرَ نوعان،الأوَّلُ بهلوانٌ يدخُلُ في كلِّ فجٍّ عميق ليُبهِرَ المُشاهدين،ويجعلهُم أطفالاً أمامهُ ولو كانوا ممن أصابهُم الكِبَر.

يضعُ كلَّ شيءٍ في حياتهِ على المِحَك،ويُلقي بالخوفِ خلفهُ،في سبيلِ إسعادِهم،والترويحِ عنهُم.

أما الثاني فهو مقيتٌ حدَّ اللا حد،هو ذلكَ المُتفرّج،الذي يكتفي بمُراقبةِ الأوَّل دونَ أن يُبدي له أي علاماتِ احترام،يُطالِعُهُ بنظرةٍ مفادُها أنتَ قِردي،أنتَ عبارةٌ عن تسليةٍ تُرديني سعيداً من فرطِ النَّشوة،فإذا بلغتُ مبلغَ الهُيامِ من فرطِ المُتعَة،رفعتُ يدي مُلوّحاً لكَ بورقةٍ أو أكثر،من تلكَ التي أُلقيها على راقصاتِ الملاهي.

فتزدادُ أنتَ نشاطاً،وأزدادُ أنا نشوة،ويزدادُ عددُ الأوراقِ في يدي.

هكذا تعلَّمتُ في السيرك،فكيفَ سأنسى هذا الدرس،وأُلقي بباقي الدروس خلفي،وأترُكُ العمل...؟

ومن أجلِ ماذا سأترُكهُ...؟ من أجلِ ظهري الذي لم يعُد يحتمِلُ الكَسر...؟ أم من أجلِ الحصولِ على عملٍ أفضل،كما قالَ الطبيب...؟

هه...!

تباً للكَسر...!

إنَّ ذلكَ الطبيبُ لا يعلمُ أنَّ ظهري مكسورٌ أصلاً،لقد كُسِرَ منذُ زمنٍ طويل،لذلكَ هو لم يعُد يستجيبُ لأيِّ ألَم.

إنَّهُ مكسورٌ مُذ كنتُ في الواحدةِ وعشرينَ من عُمري،أي منذُ عشرةِ أعوام.

في ذلكَ الزمنِ القديم،حيثُ كنتُ ألعبُ دورَ الجواد،ليمتطيني من كانَ شريكي في العرض،ويؤدِّي شقلبتهُ الخلفيةَ من فوقِ ظهري.

كانَ أكثرَ من شريك،كانَ صديقاً،ومن فرطِ صدقِهِ في صداقتي،ذهبَ إلى السماءِ ليدعوَ الله لي،شدَّ رحالهُ نحوَ العُلا ليتضرَّعَ الله لأجلي،لأجلِ حُبِّي،لأجلِ من تعتبِرُني قِرداً لها.

لكنهُ ذهبَ ولم يعُد،صعدَ صعوداً أبديًّا،صعودٌ لا نزولَ بعدَه،ومن أجلِ ماذا...؟

من أجلِ صديقه،من أجلِ أحلامي،وأحلامِه...!

كانَ يظُنُّ نفسهُ بارعاً في الصُّعود،فامتطى أحدَ الجِبالِ ظنًّا منهُ أنهُ سيمتطيهِ بسهولةٍ كما ظهري،وفي أثناءِ صعودهِ اعترضَت طريقهُ صخرةٌ ناتِئةٌ في حلقِ الجبَل.

حاولَ تسلُّقها،لكنَّها كانت صخرةً على شاكِلةِ غُصَّة،تسُدُّ حنجرةَ الجبلِ المُتعطِّشةِ لابتلاعِ الريق،فما كانَ من الجبلِ إلا أن يتقيَّأها وإياهُ،فاندفعا معاً نحوَ السماء،سقطَ هو أوَّلاً،وسقطَت هي فوقه،فأردتهُ قتيلاً على سفحِ الجَبل.

لقدَ فعلَ ذلكَ لأنهُ سمِعَ ذاتَ مرَّةٍ أحدَ المُتفرّجين يقولُ " إنَّ الرؤيةَ تتضَحُ كُلما صعدنا لأعلى،وأنَّ الصوتَ يُصبِحُ مسموعاً أكثر،إذا صدرَ من العُلا ".

صعدَ لأنهُ يُريدُ أن يُسمعَ صوته،وأن يرى بوضوحٍ أكثر،صعدَ لينالَ الإنصات،لكنهُ لم يعلَم أن كلَّ صعودٍ يعقُبهُ بالضرورةِ نزولٌ أو سقوط،وأنَّ السقوطَ يُصبِحُ أعنفَ كلَّما زادَ ارتفاعُنا عن الأرض.

هو أيضاً لم يكُن يعلم أنَّ ذلكَ العجوزُ الذي قالَ تلكَ الكلمات،لم ترتفِع قدميهِ عن الأرضِ إلا في حالةِ المشي،لذلك كانَ ينعقُ بما لا يَعلم،كانَ يثرثِرُ كما أيُّ مُتفرّج،كما هي عادتهُم منذُ الأزل،يقولونَ الكثير،لكنهُم

لا يفعلونَ شيئاً،ومن المُسلّمِ بهِ أنهُ ليسَ من قالَ،كمَن فعَل.

بعدَ موتهِ بعدةِ أيام،سمعتُ ذلكَ العجوزَ يُحادِثُ أحدهُم بعدَ انتهاءِ العرض،ويقولُ بكُلِّ صفاقة " إنَّ عرضَ الليلةِ ينقصهُ أحمد رحمهُ لله،لقد كانَ بهلواناً فريداً من نوعه،لكنهُ أرادَ الذهابَ إلى ما هو أبعد من ذلك،فتسلَّقَ جبلاً لم يتسلَّقهُ أحدٌ غيره،أرادَ المجد،أراد الصعودَ على أكتافِ الجبَل،بذرَ بذورَ الجشَع،فحصدَ ثمارَ السُّقوط ".

لكَم أردتُ دقَّ عُنقهِ في ذلك الوقت،أو سحبَ لسانهِ من جذورهِ وقطعه،لكنَّهم منعوني من ذلك،وتحلَّقوا حولي،كلٌّ يشُدُّني نحوه،ليمنعني من الوصولِ إلى عجوزِ النَّحسِ ذاكَ،فاكتفيتُ بمشاهدتهِ وهو يتمتِمُ،ويتوعَّد،بينما كنتُ أغلي من الداخلِ كبُركان.

بعدَ أن فضَّت الجموع،رأيتُها هُناك،رايتها مع صديقها الودود،ذاك الذي كانَ لها كل شيءٍ من المفترضِ أن أكونهُ أنا.

لقد رأتني هي أيضاً،فشدَّت يدَ صديقها وسحبتهُ نحوي،قالت له " تعالَ معي،سأُعرِّفكَ على قِردي ".

نعم هكذا قالت،فهي لطالما اعتبرتني قِرداً لها،يُسلِّيها،ويُرَوِّحُ عنها،وعندما تبلُغُ مبلغَ النشوةِ من

فرطِ السعادة،تذهبُ إلى صديقها لتُشارِكهُ سعادتها،وحُبَّها.

ولكنَّ المؤسِفَ في الأمر أنَّها كانت تُردِّدُ دائماً،وتقول " أنتَ فريدٌ من نوعِكَ يا أيهم،هُناكَ شيءٌ غريبٌ يسحبُني نحوك،لا أعلمُ ما هو ولكن طيبتُكَ،ومدى عطفِكَ يأسُرنَ القلوب ".

ومضيتُ أنا في تخيلاتٍ لا محلَّ لها من الواقِع،بعدَ سماعي لكلامها،ظننتُ أنَّ قلبها مأسُورٌ من قِبَلي،فكنتُ ولازلت لا أُريدُ قلوباً،فقط أُريدُ قلبها.

اقترَبَت مني يومها،وقالَت بصوتها الناعِم :

_ مرحباً بفِردي النشيط...!

أُريدُ أن أُعرِّفكَ بصديقي،عمار.

اقتربَ مني عمار،وألقى عليَّ التحية،فبادلتهُ بمِثلِها،وأدرتُ ظهري لهُما،ورحلتُ.

تبِعني صوتها كسهمٍ أصابَ ظهري،صاحَت خلفي قائلة :

_ لا تنسى أن تبتكِرَ شقلبةً جديدةً من أجلي،كما وعدتني.

تباً...وألفُ تباً...!

لقد كسَرَت ظهري،وتريدُني أن أتشقلبَ لأجلِها...؟

وهل هذا وقتُ التفكيرِ بالشقلبة...؟

وحيداً حينها كنتُ،فقرَّرتُ أن أذهبَ إلى صديقي،هُناكَ تماماً،حيثُ كانَ من المُفترضِ أن أكونَ منذُ زمن.

جلستُ على قبرِهِ،وبكيتُ أيَّما بُكاء،بكيتُ حتى فقدتُ القُدرةَ على البُكاء،رمَّمتُ ما تبقى من روحي،وعدتُ أدراجي نحوَ السيرك.

وجدتُهُ خالياً،مُقفلاً،مَيْتاً من الحياةِ كمقبرة.

في منتصفِ الساحةِ الفاصلةِ بينَ المقصورات،وخيمةِ العرض،بدأتُ أتمرَّنُ على حركاتٍ كنتُ قد صمَّمتُها لأجلِها.

أردتُ أن أفي بوعدي،أردتُ أن أُحِبَّها بطريقتي،أُحبها بشقلبةٍ أمامية،تكونُ دليلاً على المُضيّ قُدُماً في حُبِّها،ولكن الأمرُ ليسَ بتلكَ البساطة،فليسَ الجميعُ يعلمُ معنى الشقلبَة،وكيفَ يفهمونَ معانيها،وهم لا يرَونَ في مؤَدِّيها إلا قِرداً...؟

لقد فعلتُها تلكَ الليلة،أتقنتُ الحركة الجديدة،ثلاثُ شقلباتٍ أمامية،واحِدةٌ جانبية،ثُمَّ شقلبةٌ أخيرة،أركضُ فيها مسافةَ مئةِ مِتر،وأُنفِّذُها من فوقِ الحاجِز،كدليلٍ على تجاوزي كلَّ الحواجِزِ لأجلِها.

******

أفاقَ من هذيانهِ على صوتِ مُديرِ السيرك،وهو يُزمجِرُ ويصيح،في وجههِ قائلاً :

_ أينَ كُنتَ يا أيهم،مضَت ثلاثُ ساعاتٍ مُذ خرجت،ألا تعلمُ أنهُ بقيَ على العرضِ عشرُ دقائق...؟

اذهب واستبدِل ملابسك،وجهّز نفسكَ،هيا بُسرعَة.

راحَ يجُرُّ خُطاهُ نحوَ غُرفِ تبديلِ الملابِس،اصطدمَ بأحدِ زُملائهِ دونَ شعور،لم يكترث لهُ،حطَّ رِحالهُ في الغُرفة،استبدلَ ملابسهُ،ووقفَ خلفَ السِّتار،ينتظِرُ أن يُرفَع،ليبدأ العرض.

مضَت ثلاثُ دقائق،فُتِحَ السِّتار،فانطلقَ كالممسوس،وراحَ يؤدِّي حركاتهِ ببراعة،ثلاثُ شقلباتٍ أمامية،واحِدةٌ جانبية،ازداد معها صياحُ الجماهير،ركضَ مئةَ مترٍ ونيّف،وهو يُلَوّحُ بيديهِ لتحفيز الجُمهور.

تفاعلت الجماهيرُ معه،لازَلَت حركةٌ أخيرة،نظرَ نحوَ المكانِ الذي اعتادَت الجلوسَ فيه،رآها هُناك،وخزها بنظرةٍ مفادُها ها قد فعلتُها،فعلتُها لأجلِك،أعادَ النظرَ نحوَ الحاجِز،يا إلهي..!

لقدَ اقتربَ منهُ كثيراً،ولا مجالَ للتراجُع،لابُدَّ أن يفعلها،كانَ يُفكِّرُ فيها،كيفَ سيُقابِلُها إن فشِل،تأهَّبَ للقَفز،استجمعَ قِواهُ في قدميهِ،قفزَ بِقوَّة،واصطدمَ بقوَّة.

اصطدمَ بالحاجِز،سقطَ على ظهرِهِ،غابَ عن الوعي،لم يعُد إليهِ الوعي إلا في المشفى،على ذاتِ السرير الذي كانَ عليهِ منذُ ثلاثِ ساعات،نظرَ نحوَ الطبيب،أشاحَ الأخيرُ نظرهُ،عرفَ حينها أنهُ فعلها،لقد فعلها بطريقةٍ مُغايرة....لقد كسرَ الحاجِزُ ظهره،في لحظةِ شجاعة،أو غباء،أو مُقاومَة،سمِّها ما شئت،المُهِم أنهُ قد شُلَّ جسدهُ كما شُلَّت روحهُ منذُ حُبٍّ بعيد...!

(تمَّـــت)

على جنباتِ الشَّهيق

على أنغامِ الطيور،قُبالةَ بحرٍ راكِد،في ساعةِ شفق،حيثُ الوقتُ الذي تنحني فيهِ الشَّمسُ الكئيبَة،وتختفي خلف الأُفق،ساحِبةً خلفها فلولَ النور،الهاربةُ من سمائي،نحوَ سماءٍ أُخرى خلفَ الأُفُق.

وحيداً جلستُ وشيءٍ من الانكسارِ يُحيطُني.

مهجوراً كنتُ،كسيركٍ بلا مُهَرّج،على قارعةِ البؤس،أنا واللاشيءُ نحتسي الخيبة،ونتناوبُ على سيجارةِ حُزن.

راقبتُ الشمسَ حتى أعلنتِ انتحارها،تاركةً خلفها رسالةَ وداع،يُلقيها على مسامعي ضوءُ وجعٍ مُزعِج،على شاكِلةِ حُمرةٍ دامية،تلوّحُ لي من خلفِ سحاب.

نظرتُ إلى البحر،أخافني سكونُه،إنهُ ساكِنٌ حدَّ الموت،لكأنَّهُ يُقيمُ حِداداً على انتحارِ الشَّمس.

وخزتهُ بأناملي،لعلَّهُ يُفيق،لكن دونَ جدوى،لم تستجِب لاستفزازي سوى بُقعةٌ صغيرةً منه.

أشحتُ نظري عنه،طالعتُ الرَّمال تحتَ أقدامي،غرستُ فيها رجلي،دفنتُها حتى بلَغتِ الرَّمالُ ساقي،أهلتُ رمالاً على الفراغاتِ التي تشكَّلت بينَ أصابعِ قدَمي،ورحتُ أسوّي بقُعةً أمامي،لألهو قليلاً عليها.

رسمتُ دائرةً صغيرة،بجانِبها مِثلُها،وبينهما دائرةٌ كبيرة،تصِلُ ما بينَ الدائرتين.

توقَّفتُ عن الرسم،ورُحتُ أُطالِعُ اللوحة،حاولتُ أن أفهمَ ماذا تعني،لكن دونَ جدوى،كانت مجرَّدَ تمرينٍ بسيطٍ على الهندسة.

كانَت دوائر عادية،حدَّ التكرار،وليسَ فيها من التجديدِ شيء.

******

فوقَ صهوةِ حُلُم،عند تنهيدةٍ عميقة،تناثرَت على جنباتِ الشَّهيق،بعدَ بُرهةِ اشتياق،تسربلَ التَّلاقُ إلى اللا تلاق،واستحالَ المشهدُ أمامي إلى حُلمِ ما بعدَ الاشتياق..

عيني الباكية،تنهيداتُ روحي المُتناثِرةِ على جنباتِ الشَّهيق،وحلمُ ما بعدَ الاشتياق.

الحالُ حالُ التَّماهي،ليسَ هذا خافياً.

مرَرتِ كالعادة،على جنباتِ الشَّهيق،تمشينَ كُنتِ على أطرافِ حُسنِك،بينَ الخطوةِ والخطوة،يزدادُ شهيقي،يزدادُ نبضي ارتجافاً.

أراكِ راحِلة،تُلملِمينَ ما تبقَّى مني في حقيبةِ عينيك،وترحلينَ على صهوةِ زَفرَة.

تعودينَ بعدَ شهقة،بعد بُرهةِ أنين.

أنينُ البنفسجِ يرسُمُ لوحَة تُناجي الضَّباب.

وغصنٌ تَيبَّس يُلوِّحُ في الأُفقِ خلفَ السَّراب.

يُناجيكِ قطرة،تسيلُ بأرضٍ تراكِ السَّحاب.

فجأةً أرى الدوائرَ تختفي بابتعادك،من ثُم تعود.

تعودُ لتختفي.

في لحظةِ بقاءٍ لكِ،كبُرَت،اتَّسَعت حتى ابتلَعت الدائرتينِ الصغيرتين.

تلكَ الدائرةُ الكبيرة،أظُنها تهوى الابتلاع،كما عينيكِ اللتانِ ابتلعتا كلَّ ما فيَّ.

ماذا تُراها تكون،أهي دائرةُ الشوق،تبتلِعُنا معاً...؟

بل هيَ دائرةُ حُبّنا،لا بُدَّ أنها كذلك.

إنَّهُ يتَّسِع،يكبُر،على جنباتِ الشَّهيق،يستحيلُ حُبُّنا دائرة.

ثقبٌ في مجرَّةِ شوق،يبتلِعُ الأنين،ويُهوّنُ كلَّ شيء،كل شيءٍ عدا الفُراق،سيضيعُ في ذلكَ الثَّقب.

إنَّهُ السَّبيلُ الوحيد للاستمرار،صدِّقيني،إنَّ دائرةَ الحب تتسِعُ بعدَ كلِّ شوق.

إنَّها لا تتلاشى،تكبرُ وتكبر.

عليكِ الوقوفُ على جنباتِ الشَّهيق،بعدَ تنهيدةِ شوق،وستعلمينَ،أننا معاً حتى في لحظاتِ الشَّهيق.

(تمَّـــت)

إسقاطٌ حَرْفي

استعادني الوعيُ بعد أن أطلقَ سراحي في هُنيهةِ هذيان،وزارني الفهمُ من جديد مُذ رأيتُني غارقاً في الكتابة...!

عندما تتعدَّدُ الأفهامُ والفِعلُ واحِد،فهذا يعني أن الفِعلَ يكتنِزُ الغُموض،وعندما يحِلُّ الغموض عادةً ما يحِلُّ الخروجُ عن المنطِق.

ولأنَّ التفسيرَ نصفهُ كُنهٌ،ونصفهُ منطِق،فادنو بفِكركَ،ونبِّئني بتأويلِ ما لم أسطِع عليهِ فهمَا.

******

عندما حلَّ ذلكَ الضيفُ الثَّقيل " الأرَق " وتحتَ تأثيرِ سُخفِ " الهذيان " رأيتُ ضِغثَ حُلم،أرخى سُدولهُ على عَيْنَي،وراحَ يتمطَّى بصُلبهِ أمام ناظِرَي،وأردفَ أوجاعاً وعاثَ بعُزلَتي.

في مكان لا مكانَ فيه،هناك تماماً حيثُ وجودي الذي لا وجودَ له،جالساً كُنتُ على شفى حُفرة من ألَم،أو قابَ جُرحينِ أو أدمى من وفاة....صراحةً لا أذكُر..!

اللاشيءُ أمامي،وشيءٌ من ذلكَ اللاشيءِ ورائي،في تنظيم مُحكم كقسورة تستهدِفُ حُمُراً مُستضعَفة.

الظلامُ يُغلِّفُ أروِقةَ اللامكان،إلا بعضُ نور انبثقَ من أقصى بقاعِ الفراغ لا أعلمُ لهُ مصدراً بالتحديد.

ولأنَ عقلي طاعِنٌ في العُمق،فقد فسَّرتُ ذلكَ النور على أنَّهُ بقايا أمل استحالت نوراً لتوهمني بأن المخرج أمامي...!

ولكنها لم تعلم أن رقصةَ الديكِ المذبوحِ لا تستهوي العقول الطاعنةِ في العُمق.

ذلكَ النورُ هزمَ عقلي،واستحالَ نوراً أكبر،ليثبتَ أن عُمقَ فِكري،لا ينفي وجودَ فِكر أعمق.

تحاشيتُ النظر إليه،واستحالت نظراتي مُحققاً يبحثُ في جُنحِ الظلامِ عن تفسير آخر للفراغ الذي حولي،وانتبهتُ في وهلةِ تركيز إلى وجود تفاوت في درجات الظُلمةِ من حولي.

تابعتُ ذلكَ التفاوت من اليمينِ إلى الشمال،فوجدتهُ يزداد ظُلمةً كُلما اتجهتُ بأنظاري ناحيةَ الشمال.

سواءً أكانَ الشمالُ شمالكَ أم شمالي هذا لا يهم،المُهم أن ظلامَ الشمالِ حالِك،مقارنةً بظلامِ اليمين...!

كالعادة ترجمتُ ذلكَ التفاوت،وتلكَ المجريات،بما يتناسبُ معَ عقلي البائس،وحاولتُ استنباط تفسير من فراغ فيه ظلامٌ مُتفاوِت...!

ولستُ أدري أهذا ضربٌ منِ العُتهِ أم منِ العُمق...؟

أطلقتُ سراحَ عقلي،وحلَّقتُ بهِ مدَّ فِكري،فانقلبَ إليَّ الفِكرُ خاسئاً وهو حَسير،ليتراءى لي مدى عجزي رُغمَ عُمقي.

لستُ من النوعِ الذي يستسلمُ بسهولَة،عادةً ما أقارِعُ عدمَ الفهم بالفَهم،ولكن في بعضِ الأحيان من الأفضلِ لنا أن نستسلم حتى لا نُجبرَ عليه كجيش مهزوم أجبرهُ العدو على التقهقُر.

أن تعلمَ متى تختارُ التراجُع،يجعلُ منكَ شخصاً مرِناً يُقاوِمُ الضغطَ بالمُرونة،حالهُ كحالِ نباتِ الصفصاف كلما اشتدَّت عليهِ الرياحُ تبعها،وعاد أدراجهُ متى ما رحلَت مجسداً بذلكَ مثالاً على مقاومةِ الانكسار.

وعلى ذكرِ الرياح،إن الرياحَ في هذا اللامكان باردةٌ على البدنِ حارَّةٌ على القلب،تلفحُ المشاعِر صانعةً منها ريشةً في مهبَّ زوبعة،مُبعثرةً إيَّاها على جنباتِ الشَّهيق.

ولا أدري لعل أحد تلكَ المشاعِر أتاكَ على شاكِلةِ شهقة تتلوها في القلبِ غُصَّة في مُنتصفِ هذا الضياع...!

الشَّهيقُ تعبير،والتعبيرُ مُجهِد،والجُهدُ مُعلَّمٌ صامِت يُهديكَ خبرةً دون أن ينبُسَ ببنتِ شفَة.

الجُهدُ كما الظلام،كلاهُما مُعلِّمٌ من نوع فاخِر يُعطيكَ درساً بالتجارُب،ويهديكَ فهماً بعدَ تطبيق،فهماً لا يسعُكَ نسيانُه.

******

استعادني الوعيُ بعد أن أطلقَ سراحي في هُنيهةِ هذيان،وزارني الفهمُ من جديد مُذ رأيتُني غارقاً في الكتابة...!

ولكن فهمي ليسَ بالضرورةِ فهمُك،الأفهامُ مُختلفةٌ يا صديقي.

وعندما تتعدَّدُ الأفهامُ والفِعلُ واحِد،فهذا يعني أن الفِعلَ يكتنِزُ الغُموض،وعندما يحِلُّ الغموض عادةً ما يحِلُّ الخروجُ عن المنطِق.

ولأنَّ التفسيرَ نصفهُ كُنهٌ،ونصفهُ منطِق،فادنو بفِكركَ،ونبِّئني بتأويلِ ما لم أسطِع عليهِ فهمَا.

قُل لي كيفَ أُغادِرُني كُل ليلة استكشِفُ لا شيئاً،في لا مكان،ولا وجود،ويستعيدُني الوَعيُ عندما أراني غارقاً في الكِتابة...؟

(تمَّـــت)

ذاتَ غُروب

كان مُستلقياً على ظهره ، غاطاً في سبات عميق لـكأنهُ دُب .

رياحٌ حارة تلفَحُ وجههُ دونما أن يشعُرَ .

رائحةٌ غريبة أجبرَتهُ على النهوض من سُباته .

فتحَ فاهُ اندهاشاً بما رأى ، من ثم سلمَ نفسهُ إلى اللاوعي مجدداً .

******

كانت في الجهة المقابلة لـ مُصيبته ، تنظر إليه بـــ عجز ، تبكي بـــ سُرعة مائة دمعة في الدقيقة ، جسدُها يهتزُّ ويكأنَّه آلةُ حفر .

توقفَتْ عن الاهتزاز عندما توقف ، أحست بـــ سائل ينسكبُ في قلبها لا رحمها ، أتبعهُ صوتُ عيار ناري ثم صمتٌ سَرمدي .

******

دعكَ منهما قليلاً ، وانظُر إلى أعلى المشهد ، هناك تماماً حيث كُتب الآتي :

" هذا الغروب مُخضب بـــ الدماء "

إذا قرأته وقررت متابعة المشاهدة ، فـــ مرحباً بك في الأرض المنكوبة ...!

******

هناك في أرض يحكُمها أتباعُ الشيطان ، ذاتَ غروب كان دافئاً كـــ ليلة حُب .

كان ذلك الذي يدعى أحمداً يجلس أمام كوخه المتواضع ، وساجدةٌ تلك الزوجة المُطيعة تجلس بـــ مُحاذاته .

سارحان كانا في سماء القرية التي اكتَست ثوبها الأحمر مُنذرةً بغروب الشمس .

حلق كل منهما في اللاشيء مد بصره ، كـــ طير أطلقَ سراحه بعد سجن...!

أحمدٌ كان يفكِّر في عُمر مديد يقضيه مع ساجدة ، وهي تُبادله ذاتَ التفكير .

******

قدموا من بعيد على صهوة كُفر ، وليتهُم ما قدموا...!

وجوهٌ مُقفرة ، قلوبٌ مُتحجرة ، وأجسادُ يغشاها السوادُ من كل جانب .

إنهم شياطينٌ في جلود بشرية .

أصوات فحيحهم تعلوا أكثر فـ أكثر ، ورائحةُ فُسقهم عاثَتْ قُبحاً في سماء القرية .

قومٌ إذا مروا بـ شيء فـ هو هالكٌ لا محالة ، دون سابق إنذار أتَوا ، وسادَ الهرجُ والمرجُ .

******

انقلبَ الوضع في هُنيهة ليس إلا...!

ما كان هدوءً ؛ أصبح ضجيجاً وعجيجاً أسمَعَ به من كان ليس من السامِعِينا .

أمسك بـ يدها وحاولا الهرب ، ومن فرط الذُعر نسيا أي طريق يسلكان .

أطلقا أرجُلهما مع الريح ، ولكن تلك المحاولة البائسة فشلت مع مرتبة الانهزام .

ووجدا نفسيهما في مُنتصف العَباهر...!

حاقَ بهما القُبح من كل جانب ، استنجدَ بـ الله رغم أنه يعلم يجيداً أنهم لا يحبون سوى إلهَهُم...!

صفعةٌ قوية جعلته يخر ساقطاً ، حاول المقاومة ؛ لكنه تلقى طعنةً في مُنتصف قفصه الصدري فـ ضاعَ في غياهب الإغماء .

كان مُستلقياً على ظهره ، غاطاً في سبات عميق لـ كأنهُ دُب .

رياحٌ حارة تلفَحُ وجههُ دونما أن يشعُرَ .

رائحةٌ غريبة أجبرَتهُ على النهوض من سُباته .

فتحَ فاهُ اندهاشاً بما رأى...!

رأى نفسه في حُفرة مُشتعلة ، بين آلاف الأجساد المُشتعلة...!

شعر بـ نفسه يُشوى على نار مُستعرة ، سكراتُ الموت تغزوا جسده ، نطق الشهادة ،من ثم سلمَ نفسهُ إلى اللاوعي مجدداً .

******

كانت في الجهة المقابلة لـمُصيبته ، تنظر إليه بــ عجز .

وجهها مغروسٌ في الأرض ، يعلوهُ نعلٌ قذر .

قميصها قُد من قُبُل ، أحدُ الوحوش جاثمٌ فوقها ، يهتكُ عَرضها ...!

كانت تبكي بــ سُرعة مائة دمعة في الدقيقة ، جسدُها يهتز ويكأنه آلةُ حفر .

توقفت عن الاهتزاز عندما توقف ذلك الوحشُ بــ دافع النشوة، أحست بــ سائل ينسكبُ في قلبها لا رحمها ، أتبعهُ صوتُ عيار ناري ؛ خرج من ماسورة إحدى البنادق الموجهة نحوها ، ثم صمتٌ سَرمدي...!

******

نهضَ من فوقها ، مشى بضع خطوات بــ اتجاه الوحش الأكبر ، قال بــ صوت كــ الفحيح :

_ لقد تم الأمر يا سيدي...!

أحرقنا الرجال ، واستَحْيينا النساء ، وبعون بوذا لم يعُد في القرية أي مُسلم..!

(تمَّـــت)

عطرٌ للذاكرة

بين الروائح تائه،يتمطَّى بأنفه في الأجواء كعادته كل يوم،يحاول الوصول إلى مزيج جديد.

يرفع قنينةً يشمها ويضعها في مكانها،ويعيد الكرة مع الأخرى.

رجلٌ أربعيني،شعره بُني،عيناه بنيتان،أنفه مدبب،ووجهه وسيم أبيض.

يرتدي قميصاً أبيض،وبنطال قماش أسود اللون،وحذاء من الجلد الأسود.

وضعَ القنينة التي كان يحملها في مكانها،واستدار ناظراً لباب المتجر؛عندما سمع صوتَ طرقات حذاء أُنثوي.

حسناء ذات خمسة وعشرين ربيعاً،ترتدي بنطال جينز أزرق،وقميصاً أسود مزركش بالبياض،ويعتلي كتفها حزامٌ بُني تتدلى منه حقيبة بذات اللون.

على صهوةِ دلال كانت تسير نحوه،بعينين سوداوين،وأنف صغير،شعرٌ منسدل لا يمسكه شيء سوى ثلاث مساسك للشعر موضوعةٌ بإتقان فوق الأذن اليسرى .

شفتان صغيرتان،ووجهٌ لا يحتضن شيئاً من منتجات التجميل؛سوى لون البرونز الطبيعي.

قطعت حاجز الصمت بصوت أُنثوي خافت،وقالت وهي تعدل من وضعية شعرها الذي مالَ غصباً على عينيها :

_ صباحُ الخير سيد أدهم...!

بارتباك فاضح،وتوتر في حضرة الجمال،قال :

_ صباحُ النور آنسة لُجين...!

واستدار نحو الرفوف التي خلفه ليعطي زبونته الدائمة عطرها المعتاد؛ولكن أوقفه صوتها الرقيق،فعاد لوضعيته حين قالت :

_ صراحةً لقد ملَلتُ هذا العطر،وأود تغييره.

رغم تفاجئه بذلك القرار المفاجئ فهي تستخدم ذلك العطر منذ عامين تقريباً فلماذا تريد تغييره الآن؟؛لكنه أخفى الأمر عنها،وقال :

_ وهل لديك عطر معين تودين تجربته ؟

_ وهذا ما أحتاجه منك...!

أُريدك أن تعطيني خيارات لعطور مميزة فأنا أثق في ذوقك.

احمرَّت وجنتيه خجلاً،واستحال طفلاً،ابتسم ابتسامةً عريضة،وقال بصوت خافت :

_ حسناً سأعطيك شيئاً مميزاً.

خرج من خلف الطاولة متجهاً نحو الرف المقابل له،أخذ قنينةً من اللوح ما قبل الأخير من الجهة العلوية،واستدار ليناولها إياها.

أخذتها منه ودنت بأنفها قليلاً،وبعد بضع ثوان أعادتها له وهي تقول :

_ لا شك أن هذا العطر رائع جداً؛لكن رائحته قوية بعض الشيء،وأنا لا أحبذ هذا الصنف من الروائح.

_ حسناً سأريك صنفاً آخر،هو صنف جديد قد وصلني البارحة فقط،ولازلت لم أبع منه شيئاً.

حاول السير متجهاً نحو المخزن،لكن أوقفه صوتها وهي تشير إلى زاوية الرف العلوية،وتقول :

_ أظن أن هذا العطر مميز فأنا أراه دائماً في تلك الزاوية وحيداً،هل لي أن أشمه...؟

دون أن يستدير حتى،علم أي عطر تقصد،فقال وهو يكمل طريقه :

_ آسف آنسة لُجين هذا العطر ليسَ للبيع...!

تفاجأت كثيراً بهذا الرد الجاف،فهي تعرف أنه بشوش في معاملته مع كل زبائنه،حاولت أن تسأله ولكنه سرعان ما أردف قائلا وهو يناولها العطر الجديد :

_ هذا هو الصنف الذي تبحثين عنه،ولا شيء غيره سيناسب طلباتك.

غلبتها رائحة العطر الزكية،ودون أدنى تردد قالت :

_ رائع هو هذا العطر،سآخذه دون شك.

وما هي لحظات حتى وضعه في كيس وناولها إياه،وقال :

_ شكراً على زيارتك لمتجري آنسة لُجين...!

كانت تعرف أن هذه هي الإشارة المعتادة بأنه يجب عليها الرحيل،لكنها لم ترد ذلك في هذه المرة،أرادت أن تسألهُ شيئاً ولكن خجلها منعها من السؤال،فاكتفت بقول :

_ وداعاً سيد أدهم...!

ورحلت...!

******

على تمام العاشرة مساءً،جلسَ بعد أن استحم،بعد انتهاء يوم عمل مُتعب كالعادة.

على حافة السرير كان جالساً،مد يده نحو الطاولة الصغيرة الواقفة في صمت بجوار السرير،أخذ قنينة عطر صغيرة،وضع منها على قلبه تماماً،وأعادها إلى مكانها المعتاد.

أراح رأسه للوراء،غاص بجسده في أعماق الفراش،وسلم نفسه إلى أحضان التذكر.

كانت هناك،لقد رآها حقاً وليس تخيلاً.

أنثى شدنِيّة،ثلاثينية العمر،خمسينية العقل،لها وقار شيخ،ودلال طفل.

عيناها خضراوان،شعرها أربد،أنفها صغير مدبب،شفتاها ورديتان،تعتلي خدها الأيسر نقرة جميلة.

كانت تصرخ بشدة،تتألم،جسدها يهتز كأنها جان،تصرخ بشدة،ثم اختفت،وتلاشى المشهد.

بعد ثوان قليلة رآها ثانية،لكن في هذه المرة كانت سعيدة،والمكان غير المكان الذي شاهدها فيه منذ قليل.

تمسك بطفل في يدها،وتغني له،في محاولة منها لتنويمه حُبّياً.

حاول الاقتراب منها لكنها كانت تبتعد منه،صاح في وجهها،توسل لها،ركض نحوها،حاول بكل الطرق دون فائدة.

استحالت سراباً،كلما تقدم نحوها اختفت من موضعها الأول،لتظهر في موضع أبعد.

اعتاد تلك المشاهدات كل ليلة،ولكن في هذه الليلة تحديداً كان في أمس الحاجة لها،كان يفتقدها في ذلك اليوم أكثر من أي وقت آخر،أراد أن يحتضنها ويقول :

_ أحبك...!

مضى به الليل بين كر وفر،تارةً يراها،وتارةً تغيب.

حتى إذا تنفس الصبح ودقت ساعة العمل،نهض من فراشه واتجه نحو المتجر.

******

في منتصف النهار،بينما كان غارقاً في تنظيم العطور،سمع ذاتَ النقرات التي سمعها في اليوم السابق،أدار ظهره،وهو يدعو الله ألا تكون هي.

حدث ما كان يخشاه،إنها هي،إنها السمراء التي اعتاد رؤيتها كل أسبوع طيلة عامين.

بصوتها الرقيق الخافت :

_ مساءُ الخير سيد أدهم...!

على غير عادته،بادلها التحية دون أن ينظر إليها،وهي كانت تعلم بأنه يعلم سبب قدومها.

قالت مازحة :

_ أظنك قد مللت وجهي حتى أنك لم تعد تطيق النظر إلي.

استدار نحوها،وقد ظهرت على وجهه بعض علامات الحزن،وهم بالحديث لكنها أردفت قائلة :

_ لقد جئت اليوم لأنني لم أنم منذ البارحة،بسبب سؤال أردت أن أسألك إياه،وأرجو أن تجيبني عليه...!

_ إذا كان باستطاعتي الإجابة عليه بالطبع سأفعل.

_ لا أدري لماذا لم يغادر هذا العطر مخيلتي،ولا أدري لماذا يراودني إحساس بأنه ليس كأي عطر آخر...؟

هل لك أن تبيعني إياه...؟

لقد بدا واضحاً عليه أنه غضب،ولولا أنه عاقل لانفجر في وجهها كقنبلة موقوتة.

تمالك نفسه،وقالت بصوت فيه القليل من الخشونة :

_ آنسة لُجين هذا العطر ليس للبيع...!

_ آسفة على التدخل؛لكن هل لي أن أعرف السبب...؟

ثم أردفت قائلة :

إلا إذا كان ذلك يثير غضبك.

فكر قليلاً في رد،كان يريد أن يقول لها " ما شأنك " لكن شيئاً ما منعه،حاول أن لا يبوح بشيء لكنه شعر بأن الوقت قد حان ليحادث أحداً عن سره.

قال بصوت يغشاه الفقد،وكلمات متقطعة :

_ إنه....إنه عطرٌ للذاكرة...!

كان وقع الكلمات مدوياً في داخلها،ثار عقلها بآلاف التساؤلات،شعرت بشيء غريب يجتاح قلبها،تسارع نبضها،شهقت شهقةً تلتها زفرة،وقالت :

_ وكيف يكون العطر للذاكرة...؟

لكأنَّهُ كان يعلم بأنها ستسأله هذا السؤال،فـ رد عليها بصوت كالحشرجة :

_ عندما يرتبط بشخص فقدته ذاتَ فقد،يكون العطر عطراً للذاكرة.

يكون العطر للذاكرة عندما تضعينه لتتذكري شخصاً يستحيل عليك اللقاء به.

ساد الصمتُ للحظات،لم تكن تعلم ماذا تقول،أرادت أن تسأله آلاف الأسئلة؛لكن عقلها كان مشتتاً عالقاً في تلك الجمل التي قالها بحسرة،حاولت الحديث لكنها لم تستطع أن تنبس ببنت شفة.

دفعه صمتها إلى أقصى حدود البَوح،لا يعلم ما الذي جعله يقص عليها راوية العطر تلك،لكنه كان يعلم بأنه في أمس الحاجة للحديث مع أحدهم،فهو منذ قرابة العام لم يحادث أحداً عن وجعه.

تكسر صمته دفعةً واحدة،وبدأ في سرد القصة عليها :

_ هذا العطر قد صنعته خصيصاً لزوجتي قبل ثلاثة أعوام،أهديتها إياه في عيد زواجنا الأول،لقد فرحت به كثيراً،وكانت تضعه طوال الوقت،حتى أنني أصبحت أفتقدها عندما لا تضع منه ويكأنها ليست معي.

مرت الأيام،وكنا سعيدين جداً مع بعضنا،خصوصاً عندما علمنا بأنها حامل،سعدنا بذلك كثيراً،ومضى الوقت مسرعاً حتى أتاها المخاض في أحد الأيام،ذهبنا إلى المستشفى،كانت حالتها خطيرة فهي كانت ستلد قبل وقتها بكثير،قرر الأطباء إجراء عملية ولادة قيصرية،وقالوا لي بأن نسبة نجاحها دون أن يصاب الطفل بأذى قليلة جداً.

دون تردد وافقت أن يتم إنقاذ زوجتي،وهذا ليس كرهاً لطفلي الذي أتمنى قدومه بفارغ الصبر،ولكنها كانت كل شيء بالنسبة لي،فكيف لا أختارها.

تم إجراء العملية،لكنها فشلت فشلاً ذريعاً،وللأسف فقدت زوجتي،وطفلي أيضاً.

توقف عن الحديث قليلاً،فرت دمعةٌ من مقلتيه،واستمر قائلاً :

_ ومنذ ذلك اليوم وأنا أضع ذلك العطر،ليس كلما تذكرتها،بل كل ما أردت أن أتذكرها أكثر وضعت منه على قلبي لأتعطر بعطرها عند لقائها.

هذه هي قصة ذلك العطر الوحيد على الرف مثلي،إنه عطرٌ لذاكرتي لا جسدي.

لم تستطع النطق بحرف واحد،انسحبت بهدوء،ومضت بعيداً وهي تمسحُ دموعها.

******

عاد إلى منزله مباشرةً،منذ اللحظة الأولى من وصوله،أخذ قنينة العطر،وضع منه على قلبه تماماً،استلقى الفراش،وغاص في أعماق الهذيان.

تعطر بعطرها للقائها،كانت هناك،رآها حقاً.

اقترب منها،ابتعدت،صاح في وجهها،قائلاً :

_ ها أنذا أتيت،متعطراً بعطر الذاكرة يا ملك...!

أتيتكِ وفي قلبي شوقٌ عارِم،وعجزٌ فاضِح،فـــ :

هل تَدنينَ بالوصلِ شِبراً

كي أدنوكِ فيهِ الذِّراعا...؟

(تمَّـــت)

جِراحٌ عذارى

عندما تكتسي السماءُ بثوبها الشديد السواد،وتتزيَّنُ ببعضِ نور يبعثرهُ القمرُ في أرجائها،حينها تستبيحُ المرارةُ جِراحاً عذارى،ويصبحُ السهرُ قدحاً من علقَم يستفِزُّ لثمَ الساهر المُتعطِّشِ للاحتساء.

على تمامِ الرابعةِ قهراً لا فجراً،جالساً كان على صخرة تستفِزُّ بصلابتها عقله الراغِب في بعضِ الراحة.

أنظارهُ شاخصةٌ في الظلامِ الحالِك،تاركاً بعض النور على يمينه في محاولة واضحة لتجاهُلِه،يتناوبُ هو والخيبة على سيجارةِ حُزن،ويحتسي علقمَ السهر غير مُبال بجسدهِ المُتعطِّشِ للنوم.

وسطَ السكونِ السَّرمَدي،مُنصتاً كان لبضعةِ أمواج مُتتالية تُعلِن تكسُّرها عند قدميهِ واحدةً بعدَ أُخرى لكأنَّها تعطيهِ إشارةً لمُتابعةِ الإنصات لشيء ما.

للإنصاتِ عندَ الساهرينَ قداسة،كقداسةِ الرُّهبانِ في كنائسِ الغَرب.

******

عندما ترتمي الأبدانُ في أحضانِ الأسِرَّة،ويستبيحُ الشوقُ عقولاً كانت قبلَ الهجرِ مُستقِرَّة،في غرفة مُظلمة،عندَ أعقابِ ليل،يُصبحُ الدمعُ نهراً لا ينضَب،وتستبيحُ المرارةُ جراحاً عذارى.

على حشِيَّة من ضياع،ووسادة من شُتات،أراحَت رأسها،في محاولة بائسة لاستجداء النوم،الذي ما انفكَّ يُغادِرها مُذ غادرَ من كانت ترى جميعَ الرجالِ أقصرَ منه.

في هُنيهةِ ضُعف أرادَت أن تُحادثهُ،أخذت المشورةَ من عقلها،الذي حاولَ ردعها،ولكن شيئاً ما استحالَ ثورةً في داخلها،وجعلَ من أناملها الرقيقةِ تنقُرُ لوحة مفاتيحِ الهاتِفِ بجنون لكأنَّها آلةُ حفر.

******

وسطَ لحظاتِهِ المُقدَّسة،تلكَ اللحظاتُ التي تنخُرُ الذاتَ المُنعزِلة،جاعِلةً منها طالباً في لحظةِ تركيز،يُريدُ الفهمَ،والأخيرُ لا يُريدُه.

تلكَ اللحظةُ التي تتميَّزُ بالتجلي حدَّ الوضوح،ذاكَ الوضوح الذي لولا غيابهُ لما احتجنا للعزلةِ يوماً.

الفهمُ بعد تعقيد،الوضوحُ بعد لبس،التَّجلّي بعد عُزلة،هُنا بيتُ القصيد،هُنا يكمُنُ سِرُّ الوجودِ في اللا وجود.

الرسالةُ بعد هجر،فيها من الحبكاتِ ما يكفي للإطاحةِ بأعتى عقل في شركِ التَّخبُّط،بينَ ما نُطِقَ دونَ سبقِ تركيز وتَعقُّل،وذاكَ الذي فُهِمَ بعد قول مَوجود وقصد مفقود.

في لحظة التَّجلّي،عندما حزمَ أمره،واتخذَ قراراً بعد عُزلة،قاطَعَ سكونَ ما حوله،وضجيجَ ما بينَ خافقيهِ،صوتٌ لا يُطرِبُ إلا من اعتادَ سماعهُ،خاصةً في ساعةِ شوق.

صوتُ نقرة،تتلوها هزَّة،جعلتَ من أصابعِهُ تتسلَّلُ نحو جيب حزين،لم يحتضِن منذُ أشهُر شبهَ قِرش.

بنقرات سريعة على لوحةِ مفاتيح الهاتِف وجدَ نفسهُ أمام رسالة بتعقيدِ حبكة،من آخر شخص توقع أن يحادثَهُ.

تسمَّرَت أنظارُهُ على الاسم،مُتجاهلاً ما تحويهِ الرسالة،واستحالَت عينيهِ نهراً لا ينضَب.

تقتضي العادة أن من يقرأُ شيئاً كُتِبَ له،بدمع شديدُ الذرفِ يكسو أعيُنه،لا يفهمُ سوى شيئاً واحداً،وهو أن من راسلهُ وأبكاهُ ليسَ كمثلهِ أحدٌ في قلبِه.

لذلك فهو يقرأُ تلكَ الرسالةَ بقلبه،ويستشعِرها حتى لا تضيعَ نُقطةً ويقولُ الفَهمُ هيهات أن تفهَم.

كما تقتضي العادةُ أنهُ :

" عندما ترتمي الأبدانُ في أحضانِ الأسِرَّة،ويستبيحُ الشوقُ عقولاً كانت قبلَ الهجرِ مُستقِرَّة،في غرفة مُظلمة،عندَ أعقابِ ليل،يُصبحُ الدمعُ نهراً لا ينضَب،وتستبيحُ المرارةُ جراحاً عذارى. "

******

" عندما ترتمي الأبدانُ في أحضانِ الأسِرَّة،ويستبيحُ الشوقُ عقولاً كانت قبلَ الهجرِ مُستقِرَّة،في غرفة مُظلمة،عندَ أعقابِ ليل،يُصبحُ الدمعُ نهراً لا ينضَب،وتستبيحُ المرارةُ جراحاً عذارى.

هذا الحالُ حالي يا عامر،تاللهِ مُذ هجرتني وأنا أبكيكَ كل ليلة،علَّني ألقاكَ في إحداها،تُمسكُ معصمي،وتمسحُ أدمُعي،وتزيحُ همًّا يجثو بجبروت على أضلُعي.

ألم تسأل نفسكَ ولو مرة،ماذا ستفعلُ تلكَ موؤدةُ الفرحِ من بعدِك...؟

كيف ستُمضي ما تبقى من عمرها بقلب عاطِل عن الحُب،ومشاعِر منتهيةِ الصلاحية...؟

أنتَ تعلم جيداً بأن حبَّكَ استنفذَ ما أوتيتُ من حُب،وغدرَكَ استنفذَ مخزوني من الصفح،ومع كل ما فعلت من مصائب أحببتُكَ من صميم حشاشتي،وداخِلِ داخِلي.

لطالما كنتُ الحمقاءَ التي تصفح قبل حتى أن تعتذِرَ منها،حتى إنني كنتُ ألتمسُ لكَ عذراً بعد كل غَدر.

الحمقُ شيمةُ العُشاق،إنهم يرتكبونه كلما سنحَ لهم العِشق،أو استبدَّ بهمُ النوى.

وها أنا اليوم أحاولُ جاهدةً منعَ نفسي من ارتكابه،أحاولُ وضعَ حد لشيء ما في داخلي يُريدُك أن ترجع لتُصلِحَ ما أفسَدتَه.

شيءٌ من اللاشيءِ المُزعِج،يعصِفُ بي كلما تراءت لي الوِسادة،ويذكِّرُني بفعلتَكَ التي فعلتَ وأنتَ على شفى نشوة من سُكر.

لازال ذلكَ اليوم محفوراً بذاكرتي،وأنتَ تعلمُ جيداً أن لي قلبَ نملة لا يحتملُ الحُزن،و ذاكِرةَ جَمل لا تعرِفُ للنسيانِ طريق.

وأنَّى سأنسى طعناتكَ لي وأنا أراها كل يوم في مرآتي...؟

كيف سأنسى شيئاً سيعيشُ معي إلى يومِ يُبعثون،ويستعيدهُ الليلُ لي على هيئةِ حُلم كلما حاولتُ تناسيهِ أعادَه،ويكأنَّهُ يُكنُّ ليَ التَّذكُّر...؟

إنَّ الليلَ يستبِدُّ بنا نحنُ معشرَ القوارير،ويجلِبُ لنا ما لا طاقةَ لنا به،كأنتَ مثلاً.

كحُبّكَ الذي أنهكَ كلَّ كُلِّي،واستحالَ في نهايةِ الأمرِ رصاصة أصابت روحاً طاعِنةً في العذاب.

حُبُّكَ مؤذ كما الليلُ يا عامِر،موحِشٌ كصحراء،مُرٌّ كشوق في أعقابِ ليلة،أو كساعةِ غسَق،في ذلكَ الوقتُ البغيض الذي ترتمي فيهِ الأبدانُ في أحضانِ الأسِرَّة. "

توقَّفت أنامِلُها عن الكتابة،شهَقت شهقة،تلَتها في القلبِ غُصَّة،ضغطت على زرِّ الحذف،انتظرَت حتى حُذِفَ كل

حرف فيهِ ضُعف،توقفت عند أوَّلِ سطر،أعادت قراءتهُ بعد أن أرسلتهُ لهُ على صهوةِ الَم.

******

قد يحدثُ أن يموتَ كلُّ شيء قمنا بغرسِهِ من أجل شيء،من أجلِ خطأ.

كخطئهِ الذي لا يُغتفَر،عندما طعنَ من كانت لهُ لباساً يواري سوءتهُ،وخلَّفَ وراءهُ نُدباً في جسدها،بل في قلبها أيضاً.

الأُنثى وئدَت متى ما ضُرِبَت،فما بالُكَ إذا كانَ ضارِبُها من كانَ لها زوجاً...؟

عندما قرأ رسالتها علِمَ أنهُ لم يعُد لديها من الصَّفحِ ما يكفي لتُسامحهُ،لم تعُد تلكَ الحمقاءُ التي تصفحُ بعدَ كُلِّ غَدر،و تأمنُ له بعدَ كُلِّ ما فعلَ فيها.

أدركَ أنه سيقضي عُمرهُ وهو يتناوبُ مع الخيبةِ على سيجارةِ حُزن،ويجالِسُ اللاشيءَ ليحتسي النَّدَم،في ذلكَ الوقتِ البغيض الذي تكتسي فيهِ السماءُ ثوبها شديدُ السواد،وتستبيحُ فيهِ المرارةُ جِراحاً عذارى.

(تمَّـــت)

لقاءٌ ملعون

مُستبشرٌ،تعتلي قلبه فرحةٌ ظاهرة على ثغره،جالسٌ في مقهى الانتظار،على طاولة الحنين يحتسي كوب القهوة الثاني بعدَ الرد.

في صباح جميل أتاه ردها وهو جالسٌ في قاعة المحاضرات،وها هو في مساءِ ذات اليوم ينتظرها في الموعد الذي حددته ليضعا نقاط البوحِ على أحرفِ الوصل.

لعن ساعته وهو ينظر إليها،أغاضته بسيرها البطيء جداً،كسلحفاةٍ برية.

أراح رأسه للخلف قليلاً،وارتشف من قهوته رشفة،واستحال ذئباً يرقُبُ الباب بنظراتٍ حادة.

شابٌ عشرينيُّ العمرِ،سمحُ الخليقة،شعرهُ طويلٌ أشقر،عيناه خضراوان،أنفهُ كبيرٌ بعض الشيء،ووجهه اكتسى ثوب النظارة والوسامة.

يرتدي قميصاً أزرق يعكسُ لون بشرته الشقراء،وبنطالاً أسوداً كما هو لونُ الحذاءِ الذي يرتديهِ.

في هنيهةِ صُفون غفِلَ عن الباب قليلاً،وأشاح نظره عنه ناظراً نحو النادل الذي أوقع شراب ليمونٍ على أحد الزبائن.

انقلبَ إليه البصرُ خاسئاً وهو حَسير عندما دقت الساعة مشيرةً إلى السادسة مساءً.

تسمّرت أنظاره على الباب عندما رآها قادمة من بعيد يغشاها الحُسنُ من كل جانب.

مخضبةٌ بالجمال،تمشي على استحياء،يحيطها البريق لكأنّها نجم.

شعرٌ طويلٌ أحمر،عينان زرقاوان،أنفٌ صغيرٌ تعلوه حُمرة،وجنتان متوردتان كبستان زهور،شفتان مطبقتانِ على نحوٍ مُغرٍ،وجهٌ يُمارسُ القتل مع سبق الإبهار والتأنق.

ترتدي بنطالاً من " الجينز " الأزرق،وقميصاً أبيض مزركشٌ بألوان قوسِ قُزح،وحذاءٌ ذا نعلٍ مُرتفع يعزفُ مقطوعةَ حُسنٍ على شاكلةِ نقرات خفيفة.

قام من مجلسه عندما دنَت بكفها،حياها تحيةً حارَّة كحبّةِ فليفلة،وبادلته بمثلها ولكن بشيء من الخجل.

جلسا صامتان لبرهة،تبادلا فيها النظرات،ضائعانِ كانا،كل تاه في عَيْني الآخر.

سألها بعد لحظة صمت،وقال :

_ ماذا تطلبين آنستي الجميلة...؟

أطرقَت نظرها للأسفل،وغزا الخجلُ خدّيها،وقالت بصوت خافت :

_ كوب قهوة لو سَمحت.

أشارَ إلى النادل،فجاءهُ هذا الأخير في عُجالة،طلبَ منهُ كوبَي قهوة،واستدار راكضاً نحوها بسُرعة مائة نظرة في الدّقيقة.

لم ينطق بحرف إلا عندما وضعَ النادل القهوة على الطاولة ورحل.

*****

كفارسٍ استهوته المغامرة،امتطى جواد كلماته،سلَّ سيف الحب،تقدم نحوها قليلاً وقال :

_ في بادئ الكلم،وعلى سبيل الصراحة،تالله إني معتوهٌ بك،عاشقٌ لأنت حدَّ الولع.

لستُ أدري كيف حدث ذلك،ولكن كل ما أعلمه أنني مذ رأيتك أول مرة وأنت تضحكين ذاتَ صباح لم يبدأ إلا بشروق بسمة من ثغرك،فقدتُ عقلي،وخرَّ قلبي ساقطاً في أراضي حُبك.

كنتُ أراقبك طوال العام الدراسي،لحقتُ بك في كل مكان كمُخبر،حتى إنني قمتُ بتغيير مواعيد محاضراتي لأظفر بالقيل منك.

كانت تنظُر إلى الأرض،قلبها ينبضُ بجنون،وارتسمت على وجنتيها حُمرةُ خجل،عاثت فتنةً في أراضي خدَّيها،قالت بصوت خافت لا تسمعه إلا أذنُ عاشق :

_ ولكنني لم ألاحظ أنك مهتمٌ بي.

استحال مُذنباً،وراح يُبررُ موقفه كطفلٍ لا يريد الاعتراف بخطئه هرباً من العقاب :

_ هذا لأنني جبانٌ بعض الشيء،لقد فكرت أن أحادثك وأصارحك لكن خوفي من فقدك منعني.

وقلتُ في نفسي لو صارحتها وغضبَت سأكون فقدتها قبل حتى أن أفوز بها،وتالله لو أن ذلك حدث لكانت طامةً كُبرى.

حدجتهُ بنظرة خاطفه،بعد أن بدأت ترتاح في الحديث معه،وقالت :

_ وما الذي جعلك تتشجع الآن وتصارحني بذلك...؟

شرعَ في الحديث بعد أن ارتشف رشفة قهوة :

_ صراحةً لقد كان لصديقي نُعمان،وصديقتك جليلة دورٌ كبيرٌ في ذلك،فهُما من شجعاني على لقائك،حتى إن جليلة هي التي قالت لك أنني أريد الحديث معك،وأظُنك تعلمين أن جليلة على علاقة بنُعمان صديقي.

_ نعم أعلم ذلك،إذاً بناءً على هذا الحديث ألف شكر لهُما لأنهما لو لم يقوما بتشجيعك لما تكلمت.

ثُم شعرَت بأن كلماتها قد أصابتهُ في مقتل،وبدا لها ذلك وضحاً في تقاسيم وجهه.

عمَّ الصمتُ للحظات،حتى قطعهُ قائلاً :

_ إن للأصدقاء دورٌ كبيرٌ في كل شيء،حتى إنهم قد يقفون معنا في مواقف لا نستطيع ذكرها لغيرهم كالأهل مثلاً.

أنا غريبٌ بعض الشيء يا سَحر،أتصدقين لقد احتجتُ إلى وقت طويل من التفكير لأحادث نُعمانٌ عنك أيضاً...؟

إن الفكرة التي تستحوذ على عقلي عند تفكيري في بناء علاقة جديدة؛هي أن البشر في البعد أجمل،لذلك أخاف الاقتراب ممن أحبهم،أريدهم أن يبقوا كما هم في نظري،حتى أنت كنت أخاف الاقتراب منك لذات السبب.

ولا أخفي عليك أنني لستُ من النوع الذي يتعلق بسهولة،وفي المقابل لست من رواد النسيان بعد تعلُّق.

مُطرقةً رأسها للأسفل،تنصتُ بتركيز،ولا تعلم ماذا تقول...؟

اكتسى اللقاءُ ثوب السكون،ومرَّ الوقتُ مسرعاً،حتى قالت بعد تفكير طويل :

_ لقد تأخّرَ الوقت يا عابد،يجب عليّ الذهاب،ولكن أريد أن أقول لك أمراً.

شحذَ تركيزه،واستعاد رباطة نبضه،واستوقف نظراته في عينيها تماماً.

بدلال واضح،وصوت أضعف من ضعيف،وكلمات حاولت الضغط على نهاياتها لتخرج على شكل لحن،قالت :

_ أنتَ تروقُني جداً...!

أدارت خجلها،استحالَت شمساً في حالةِ غروبٍ ورحلَت...!

****

تبِعها بنظراته،راودهُ ظهرُها عن نفسِه،فاستعصمَ عنهُ خجلاً من رؤيةِ الناسِ له وهو يركُضُ نحوها ويحتضنها من دُبُر.

لكنَّهُ ما لبِثَ كثيراً حتى نهضَ مُسرعاً نحوَ الباب،أزاحَ بعض الأجساد التي تجمهَرَتْ عندَه،اتخذَ من عربةِ النقل التي توقَّفَت في مُنتصف الطريق مُتَّكأً له،نظرَ إلى الأرض،وتسربَلَت الدموعُ من عَيْنيه.

دنى منها،لفَّها بينَ ذراعيهِ،منذُ بُرهةٍ أرادَ احتضانها لكنَّ الخجلَ منَعه،لذلكَ أردتها السماءُ له ساقِطةً في مُنتصفِ الطريق،ليعيثَ فيها احتضاناً وتَقبيلاً.

نظرَ لعينيها الشاخصتين،شيءٌ ما في داخلهما يدلُّ على الرضا،لرُبَّما كانت راضيةً على الموتِ بينَ ذراعيهِ،ولكن كيف ترضى على الموتِ بينَ ذِراعَيْ من حادثتهُ مرةً واحِدة في لقاءٍ ملعون...؟

وسطَ تزاحُم الأفكار في رأسه، مرَّت على عقلهِ كلماتٌ لطالما ردَّدها على الملأ،وآثرَ لسانهُ أن يُرِدِّدها أمامها لآخر مرة.

شهقَ شهقة،تلتها دمعةٌ حارِقة سقطت على جبينها وهي بينَ ذراعيه،شرَدَ قليلاً ثمَّ استعادَ رباطةَ جأشِه،وقال بصوتٍ يَغشاهُ الحُزن :

_ ألم أقُل لك أن البشرَ في البُعد أجمل...؟

إنَّهُم في البُعدِ أبقى يا سَحَر...!

(تمَّـــت)

نسَّاجةُ الإبْرَيْسَم

بصوت مُتعَب،وعينين تُشعَّان توسُّلاً،قالت :

_ أرجوكَ سيدي،ارفَع السعر قليلاً هذه المرة،وأعدك بأنني سأرضى بأي سعر تدفعُه في المرة القادمة .

_ قلتُ لك أنا تاجرٌ أحبُّ الربح،وأستمتعُ ببخس الناس أشاءهم .

دمعةٌ فرَّت من عينيها،شقَّت طريقها نحوَ نخوته،لعلها تُدركُ بعض رجولة في قلبه...!

كان الطريقُ مسدوداً،صلبٌ هو في مواجهة الخسارة،يُحبُّ المالَ حُباً جمَّا .

ببرود تام،قال :

_ ها...ماذا قرَّرت...؟

بدون أدنى تردُّد ناولتهُ الأثواب الثلاثة،فـــ ناولها الدراهم العشرة .

أدارت له ظهرها،امتطَت حُزنها،ومَضَت كجيش مهزوم،أجبرَهُ العدوُّ على التَّقهقُر...!

******

في زاوية حيّ عتيق،هناك بين أكواخ بائسة،يتربَّعُ كوخٌ متواضع على مساحة بؤس .

خلفَ الباب المصنوع من القصب،تجلسُ فتاةٌ جميلة،في العقد الأول من عمرها،عَيناها بُنيتان،شعرها طويلٌ أَربَد،ترتدي ثوباً مُهترئاً ،يحتضنُ قُرابة العشربن رُقعة...!

بجانبها ولدٌ في الرابعة من العمر،يلبسُ جلباباً أشدُّ اهتراءً،عيناهُ بُنيتان،وشعرهُ كثيفٌ أَربَد.

توقفا عن اللهو عندما دخلَت عليهما تلكَ التي ينتظرانها كل يوم .

امرأة خمسينية العمر،نحيلةُ الجسد،محدودبةُ الظهر .

عيناه سوداوان،أنفها صغيرٌ معقوف،شعرها أشعثُ أَشيَب،وتشقُّقات وجهها تفضح جفاف أراضي سعادتها...!

تمسكُ بصُرَّة صغيرة،مصنوعةٌ من قماش جيد،على عكس الثوب المُهترئ الذي ترتديه .

استقبلت ابنيها بسعادة مُصطنعة،واستقبلاها بلهفة بَحتَة كلهفة عيد...!

******

_ أمي هل نسيت ما هو اليوم...؟

سألتها افتخار بعد أن لاحظت يديها الخاليتين إلا من تلكَ الصُرَّة الصغيرة .

أجابت بسرعة وبصوت تملؤه ثقةٌ مُفتعلة حتى لا يساورها شكٌّ بأنها عاجزةٌ عن الوفاء بوعدها :

_ لا يا ابنتي لم أنسَ ذلك...!

وأنَّى لي أن أنسى هذا اليوم المميز...؟

فرحَتْ كثيراً عندما سمعت تلك الجُمل من أمها،وراحت ترقص،وتقول :

_ اليومَ يومي،اليومَ عيدي،سأطردُ نومي،وألبسُ جديدي...!

كانت تراقبها بصمت،ولا تعلم كيف ستقول لها أن نسَّاجةَ الإبْرَيْسَم " أمها " لا تستطيع الوفاء بوعدها...!

بعدَ برهة ضُعف حاولت البوح فيها لكنها لم تستطع،تذكَّرت شيئا فــ اتجهت نحو الباب وهي تقول :

_ حبيبتي افتخار سأخرج الآن ولن أتأخر،انتبهي لنفسك ولأسعد...!

******

سارت بين الأزقة البائسة،مُطأطئةً رأسها من فرط الحُزن،لا تعلم هل ستجد حلاً للنائبة التي أصابتها أم لا...؟

انتهى بها المسير عند مكان تألفهُ،وتعلم جيداً أنهُ لا يأتيه إلا من كان مُمتلئ الجيب .

وقفت أمام المصطبة التي فُرشَتْ بجميع أنواع الحلوى،والسكاكر.

بوجه بشوش استقبلها العم شرف الدين،صاحب تلكَ المصطبة،وقال مُرحباً :

_ أهلاً بسُكينة حيّنا...!

بصوت مُتعب،وعينين تُشعَّان حُزنا،ردَّت عليه تحيَّتهُ .

وفي صمت مُطبق أخذت خمس قطع حلوى،وبعض العسل،ورحلت...!

مشَت بضعَ خطوات،وتوقفت ثانيةً عند مصطبة أُخرى،أخذت منها ثلاث أرغفةِ خُبز ورجعت أدراجها من حيث أتت .

******

عندما دخلت للكوخِ هذه المرة كانَ الظلامُ قد حل،فوجدت أسعد نائماً على حصيرة في زاوية الكوخ،أما افتخار فقد قابلتها بذات اللهفة حتى تبيَّنَ لها أن أمها خذلتها ثانيةً،فاستحالَتْ حُزنا وجلست في زاوية الكوخِ تبكي.

انحنَت سُكينة فاقدةُ السَّكينة بقهر،وضعت الأغراض على الأرض،وجلسَت تندُبُ عجزها.

فكرت في الدراهم الثلاثة المتبقية،ماذا ستفعلُ بها...؟

هل تشتري بها ثوباً لافتخار،التي بلغت عامها العاشر في هذا اليوم...؟

أم تشتري بها قطعةَ إبْرَيسم لتنسُجَ بها ثوباً تبيعه لتسد جوعها وابنيها...؟

كانت تتخبَّطُ بين الأمرين،لا تعلمُ ماذا تفعل،حتى أتاها سؤالٌ ثالث جعلها تشجي بحُرقة...!

_ كيف وصلَ الفقرُ بنسَّاجةِ الإبْرَيْسم للحد الذي جعلها تعجزُ عن كسوةِ ابنيها...؟

بكت بحُرقة،بدمعة تتلوها شهقة،وشهقة تتلوها دمعة،حتى أتاها الصبحُ بيوم بؤس جديد.

(تمَّـــت)

الأحتَف

في زاوية مُظلمة من سرداب لعين،جالسٌ أنا في صمت محاولاً التّماشي مع تناسيك.

أريكةُ خيبَة،طاولةُ فَقد،قلمُ حُب،ورقةُ خيانة،شمعةُ ثقة تصغُر شيئاً فــ شيئاً،رائحةُ ألَم،وضوءُ ندم مُزعج.

أشياءٌ رغم تناثُرها،اجتمَعت أمامي في مشهد بؤس.!

بابٌ وحيد يؤدّي إلى ذلك اللا مكانِ المُوحش.

******

جالسٌ أنتَ بينَ أقرانكَ،غارقٌ في التَّصنُّع،تضحكُ لكأنَّكَ سعيد،لكأنَّكَ لم تُجرَح يوماً.

سماءٌ لبست ثوباً أحمر،طيورٌ تجوبُها من فَوقك،البحرُ أمامك،الحُزن وراءك،هدوءٌ من كل شيء إلا الضحك.

نسمةُ البحر تُداعب صدركَ الضّيق،كلما تنفَّست ازداد اتساعاً.

مشهدُكَ رائعٌ يا صديقي.!

******

حاولتُ الخروج،البابُ موصَدٌ من الخارج .

_ ماذا أفعَل...؟

صرختُ بأعلى صوت،لكنَّهُ أحداً لم يَسمَع،وكأنّي شيئاً لم أقُلِ.!

لا أعلمُ كيف يُفتح هذا البابُ اللعين.

_ أرجوكَ ساعدني.!

هيه يا أنتَ.!

أتسمعُني...؟

هل من مُجيب...؟

******

أشعلتَ سيجارة،أخذتَ نَفَساً،أطلَقتهُ،أطلَقتَ عقلكَ معهُ،حلَّقتَ بهِ مدَّ فِكرك،رأيتَ شيئاً،بل أشياء.

سألتَ أنتَ :

_ ما هذا...؟

إنّهُ باب.

_ إلى أينَ يؤدّي...؟

افتَحهُ.

_ أحدُهم في الداخل يصرُخ.!

النجدة.!

هل من مُجيب...؟

تراجعتَ خُطوة،بل خُطوات،زهريرٌ داهَمَ أطرافَك،تذكَّرتَ وجعاً،فُتحَ الباب.!

******

وقفتُ مُنتشياً،شعورٌ بالنصر،ضحكتُ من قُبحي .

رأيتُكَ تَهوي،تَغرق،كـ كل ليلة تعودُ إلي.

من باب التّذكُّر،على صهوةِ وجعٍ أتيتَ.

_ قُلتَ مَرْحباً...؟

_ أُجيبُكَ مَصْرعاً.

مَصْرعاً لَك،وليسَ بك.!

حاولتَ التَّحدُّث .

نَهَيتُك،نَهَرتُك،زَجَرتُك.!

قُلتُ أُصمُت.

دَعني أتحدَّثُ لكَ عنك...لا بل عنَّا.

******

جالسٌ أنتَ بينَ أقرانكَ،غارقٌ في التَّصنُّع.

جالسٌ أنا في سردابكَ اللعين.

جَرجرتُك،نسيتَ فــ ذكَّرتُك،جعلتُكَ تُحشر،هناك في الداخل،حيثُ أنتَ الذي لا يعرفهُ أحد.

في الخارج كنتَ تتمطَّى بثغركَ الباسم،عمَّ الصمت،تذكَّرتَ وجعاً فُتحَ الباب.!

دخلتَ،وجدتَ أنتَ.

وقفتُ مُنتشياً،شعورٌ بالنصر،رأيتُكَ تَهوي،تَغرق،كــ كل ليلة تعودُ إلي.

من باب التَّذكُّر على صهوةِ وجعٍ أتيتَ.

أتيتَني روحاً،جسدُكَ بين البشر يَضحَك،وروحُكَ قُبالتي تُنصت.

_ مَصْرعاً لَك،وليسَ بك.!

في سردابكَ اللعين،حيثُ يقبعُ أنتَ المكسور،مَصْرعاً لَك.

حيثُ ذلكَ الأنتَ الذي هو أنا.

أنتَ الذي يُعاني منكَ،من زمانهِ،والمكان.!

ذلكَ الذي يصرُخُ،لكنّهُ أحداً لم يسمَع،وكأنَّهُ شيئاً لم يَقُلِ.!

على أريكة الخيبة جالس،هو واللاشيءُ يتناوبان على سيجارة حُزن.

يتجرَّعُ قهوة شوق.

بقلم حُب،في ورقة خيانة،على طاولة فَقد يكتُب :

" يُبليكَ ربّي مثلما أَبلَيتَني "

يرقُبُ شمعة ثقة تَصغُرُ شيئاً فــ شيئاً،يُغمضُ عينيه في محاولة بائسة للهروب من مشهد بؤس.

يُعيدُ فتحهُما،ضوء ندم مُزعج ينبثقُ من تلكَ الشمعة،ورائحةُ ألَم تطغى على ذلكَ اللا مكانِ الموحش.

أرأيتَ بؤسَ ذلكَ الأنتَ يا أنا...؟

بائسٌ هو للحد الذي جعلهُ يصمُت،وجائرٌ أنتَ معهُ للحد الذي جعلكَ تستفيدُ من صمته وتضحَك ،تضحَكُ لكأنَّكَ سعيد،لكأنَّكَ لم تُجرَح يوماً.

كاذبٌ أنتَ كــ قناة إخبارية تنعى موتَ شهيد هي من صنعتِ الفتنةَ في بلده من أجلِ خبَر.

قل لي بربّكَ،كيفَ تضحَك وبداخلكَ مأتم...؟

كيفَ تضحَك وأنتَ مقبرةٌ تتنفَّس...؟

فقدتَ أخاك،لازلتَ تضحَك.

خانتكَ من وثقت بها،ها أنتَ تضحك.

ستموت غداً،قهقهتك تعلو.!

خانك،خانتك،هجرك،هجرتك،فقدته،فقدتها،مات،ماتت،رحل،رحلت،مرضتَ،جُرحتَ،طُعِنتَ،غُدِرتَ،فكيفَ تضحكُ دُلَّني...؟

تباً لك.!

لي تبٌّ أيضاً.!

لي تبٌّ لأنني جالسٌ في صمت أحاولُ التَّماشي مع تناسيك.

أخرجني.!

لم أعُد أُطيقُ السِّجن.!

أطلقِ سراح سجينِ كبريائك.

قُلتَ كيف...؟

_ أُكتُبني.!

عندما تُصبحُ الكتابةُ نحيباً،يصبحُ الحرفُ دمعاً،والجرحُ عيناً،والورقةُ خدًّا.!

اجعلني دمعاً،حرفاً،أو شيئاً،مللتُ النَّفي.

_ أ أنتَ مريض....؟

لا.!

أنتَ مُتعب...؟

لا.!

أنتَ حزين...؟

لا.!

_ مَصْرعاً لك يا كاذِب.!

ألم تشعُر بالذنبِ من النَّفي،كلما أجبتَ بـــ" لا " في موضع يستحقُ أكبرَ " نعم "...؟

حرِّرني وارحم نفسك،ارحم قلبك،ارحمه.!

حرّرني يا أَحتَف،أنتَ الأحتَف،الأحتفُ أنا،الأحتَفُ قلبُكَ السَّائرُ بسعادة عَرْجاء..!

(تمَّـــت)

في غَيْهَبِ الغَسَقِ

الليلُ مؤذٍ،والصباحُ مُجدِّدُ،والعَيشُ ضَنكٌ إذ أوَيتُ لمَخدَعي.

في نهارٍ حالِكِ السواد،أتبعهُ ليلٌ يُشعُّ نوراً،ماتَ العَيشُ فيَّ،وعاشَ الموتُ في داخلي،فأصبحتُ شِبهَ حيٍّ اعتلَّ حاضرهُ فاعتلَّ قادِمهُ،واعتلَّ منشَؤهُ،من عِلَّةِ ماضيهِ،يهيمُ هائماً في مساحةٍ من التَّيهِ.

في ذلكَ النهار القاتِم كقَبر،أدرتُ فِكري حنيناً لماضٍ مضى وتقادمَ عهدهُ،فاستباحَ السواد ما تبقى من فتاتِ نور،وعاثَ البؤسُ خراباً في قلب تشظّى نبضهُ كزجاج تلقَّى قطعةَ حجر من طِفل،فاستحالَ هَشيماً تذروهُ الرياح.

اشرأبَّ عُنقُ العقلِ من هولِ التذكُّر،زاغَت عينُ ذاكرتي،وبلغَت نبضاتُ القلبِ الحناجِر.

رأيتُني قبل عدة أعوام،في أحد أيامي التي ليسَ لها أيام،في ذلك الوقت الذي كنتُ أعرفُني فيه حقَّ المعرفة.

ذلك الوقت الذي كنتُ فيهِ عتيقاً كخمر،رشيقاً كرشاء،صغيراً حدَّ الطفولة،حدَّ الحاجة للّعب.

على ناصيةِ الأحلام،قبل انسدال الظلام،ذاتَ ماضٍ كنتُهُ،جالساً حينها أنا،تحت سماءٍ مُحمرَّة،قُبالةَ بحرٍ ساكِنٍ حدَّ الرُّكود،الحُزنُ ورائي،السكونُ أمامي،وكلُّ الأشياء ضدي،لكأنَّها تُكِنُّ ليَ الضغينة.

سارحاً كنتُ في الوجود،غاطاً في نوبةِ صمّت،لا أسمعُ شيئاً،سوى ذلك الصوتُ الذي ما انفكَّ يُحادِثُني من وراء حجاب.

من هناك،من داخل داخلي ينطِق،من مكان ما في رأسي،ينخرُ لنفسهِ في جدارِ الصمتِ ثقباً.

ثقبٌ أربَد يُطِلُّ على أزقّةٍ حُزن في داخلي،ويتراءى للرائي كـ سَمِّ الخِياط،كخُرمٍ في عباءةِ شَيخ يلوّحُ للناظرينَ من أحدِ المَنْكَبين ويختفي في الآخر.

عندما يتراءى لي ذلكَ الثُّقب أعلمُ كل العِلمِ بأنَّ نحبي قد دخلَ حيّزَ الإتيانِ،بل إنني أكونُ حينها قابَ جُرحينِ أو أدمى من وفاة .

لأنني حينها وبكلِّ ما أوتيتُ من تذكُّر أستعيدُ في الحُلمِ أشياءً فقدتُها ذاتَ واقِع،وأسترجِعُ فيهِ ذكرياتٍ منها ما هي عذبَة كحلوى من الزمنِ العتيق،زمنُ الطفولة حيثُ كنتُ صغيراً لا أفقهُ في الحُزنِ شيئاً.

ومنها ما يجعلُ الأسَى يَسْتكينُ بمُضْغَتي كجيشٍ منَ الغِيلانِ يغزوا آدَميْ.

في ذلكَ الوقت يستبِدُّ بيَ الحُزنُ،ويذروني الخرابُ من كلِّ جانب،وأستحيلُ ركاماً كبيتٍ دُكَّ في ساحةِ حرب.

بينَ أنقاضي أرى كل عزيزٍ فقدته،وما أكثر ما فقدت،بل إنني أرى أعزَّ شخصٍ فقدته،ذلك السندُ السامِق،أحمدٌ ذا الثَّغرِ الباسِم.

ذلكَ الغائبُ الذي خرَّ قلبي ساقِطاً يومَ فقدِه،لأنَّ القلوبَ كما الأبدان تتخِذُ لنفسِها عُكازاً،فكيف لا يسقُطُ قلبي في غيابةِ البؤس عندما فقدَ عُكَّازه...؟

بل إنَّ مَصابي أكبرُ لأنهُ رحلَ في وقتٍ كنتُ أرى فيهِ جميعَ الرجالِ أقصرَ منه،وها أنا أراني صغيراً بدونه،حزينٌ عليهِ كأبٍ عقيم،أشتاقهُ كشوقِ المريضِ للشفاء.

أستعيدهُ في اليومِ ألفاً على ألفٍ في كلِّ حُلم،وأروحُ أُقبِّلُ أرضاً استحالَت حضناً واحتضنت وقعَ أقدامِه،أُقبِّلُها

بعُثْهِ كعاقِرٍ لا يُفلِتُ من لثمِها طِفلٌ إلَّا بعدَ شهقةٍ تتلوها على جبينِهِ قُبلّة.

إنَّ الذاكرةُ كما السُّم تطيحُ بالأبدانِ ببُطء،والنسيانُ دواءٌ شحيح لا يتوافرُ للمسمومِ في كل وقت.

الذاكِرةُ عَيْبي،كما الجمالُ أنا لا أعرِفُ للنسيانِ طريق،وفي كلِّ يومٍ أتذكَّرُ شيئاً جديداً،في حضرةِ الشَّفقِ ذلكَ الوقتُ من النهار الذي ما فتئَ يجلبُ لي كلَّ فقيد ويكأنُّهُ يُكِنُّ ليَ التَّذكُّر.

******

عندما ينسدِلُ الظلام،ويلتهِمُ الغسقُ ما تبقى من آثارِ النَّهار،يستحيلُ شيءٌ ما في داخلي إلى نجم،نجمٌ في حالةِ بريق كعسجَدٍ في رقبةِ حسناء،يسُرُّ الناظِرينَ تدلِّيهِ من موضعِ النَّحرِ.

أستحيلُ نجماً يُشِعُّ عُزلَة،كزاهِدٍ في ساعةِ فَجر،ساعةُ الطُّهرِ من كلِّ عُهر،أو كما أحِبُّ تسميتها ساعةَ رقودِ الشياطِين.

أحاوِلُ الصراخ كأيِّ بشريٍّ يتألَّم،أحاوِلَ البكاءَ ناظراً للسماء،فيخرُجُ صوتي كما الهَمس،وتختفي موجاتهُ في

مساحاتِ العدَم التي تُحيطُ بكلُّ مُعتزلٍ للناسِ راغباً في بعضِ السكون.

وعلى سيرةِ ورثةِ الشياطين،أولائك الذينَ يُدعَونَ بشراً،إنني لفي قمَّةِ السرور وأنا بعيدٌ عنهم كأمٍ أتاها طفلٌ بعدَ مخاضٍ طويل.

ورغُمَ حقدي عليهم،فأنا شاكِرٌ لهُم على كل إهمالٍ لي صنعَ مني ذلكَ النجمُ المنطوي على بريقهِ في سمائهم القاتِمةِ السواد.

ذلكَ الإهمالُ الذي جعلَني أدورُ في الدوائر صارخاً بأعلى صوت،قائلاً على صهوةٍ بَوْح :

مُهمٌّ،منَ الناس مُهمَل،بينَ الشيء واللاشيء،قابع.

عن سرب التَّلاقِ تائه،في حنايا الوحدة والتّوحُّد ضائع.

واقفاً على الأطلال،لهبٌ واحد،ومئات الظلال،تُحِيطُه،تُمِيتُه،تكسوهُ همًّا،وتذروهُ وهماً.

لا يشتكي،لا يبكي،ليست لديه رغبة،ليس ميتاً،بل ليسَ حيًّا.

_ لا..لا.

هو لم يولد من الأساس؛فكيف يموتُ من لم يولد بعد...؟

ليس شبحاً،وليسَ بشراً،وليس شيئاً من الأساس.

هو خواءٌ فقط؛خواءٌ في خواءٍ،في خواء.

ثرثارٌ هو،ولا يكلِّم أحداً،يُمسك قلماً،يبسطُ أمامه ورقة،ويُثرثر لكل سطر على حدة.

إذا جاع قرأ،وإذا عطشَ في القصائد غرَق.

لا يُقابلُ أحداً إلا بموعد،في ساعة بَوح،على ورقة لقاء،يُقابله،يُحادثه،ويرحل.

يحلمُ بكل شيء،حالمٌ هو؛فإذا تعالى عليه حُلمٌ نَسيَه،وأتبَعَ النّسيانَ بالتَّخلّي،يُمزقُ خارطةَ التَّمنّي،يجلسُ بهدوء متظاهراً بالتَّأنّي.

فهل هو جبانٌ في ذلك...؟

أم تاجرٌ ذكي علمَ أنه خاسرٌ في مُنازلة الواقع فتزَيَّث...؟

ليس ضعيفاً قويٌّ هو للحد الذي يجعلهُ يُغادرُ من يُحب دون حتى أن يلتفت.

_ لا..لا.

بل ضعيفٌ هو للحد الذي يجعلهُ يشتاقُه وهو يدير ظهره راحلاً عنه.

خليطٌ مُختلط،مزيجٌ ممزوجٌ بشيء من كل شيء هو.

مُهمٌّ،منَ الناس مُهمَل،بينَ الشيء واللاشيء،قابع.

واقفاً على الأطلال،لهبٌ واحد،ومئات الظلال،تُحيطُه،تُميتُه،تكسوهُ همًّا،وتذروهُ وهماً.

لا يشتكي،لا يبكي،ليست لديه رغبة،ليس ميتاً،بل حيًّا.

أنا المُهمُّ المُهمَل،أنا الواقِفُ على الأطلال،أنا الذي عانيتُ من قُربِكُم،فقرَّرتُ اعتزالكم.

هكذا أُمضي ثلاثةَ أرباعِ الليل،أصرُخُ،وأصرُخ، ولكن في أغلبِ الليالي المُشِعَّةِ بالعُزلة،فإنه يحدثُ أن تصرُخ بأعلى صوت،تصيحُ في الأرجاء،لكنَّهُ أحداً لا يَسمَع،وكأنَّكَ شيئاً لم تَقُلِ،ويكأنَّكَ تهمِسُ بصوتٍ خفيض لا يتجاوزُ مداهُ حنجرتك،في تلكَ الحالة ليسَ لديكَ خيارٌ سوى أن تقضي الرُّبعَ الأخيرَ من ليلتِكَ في الكتابة،وإلا ضاعَ صوتكَ في غَيْهبِ الغَسقِ ذلكَ الوقتُ اللعين الذي ليسَ فيهِ من يسمَع.

(تمَّـــت)

التَّدلّي

_صراعُ هواجِس :

الهزيعُ الأخيرُ من ليلةِ ضياع،في غيابةِ السَّهر،بينَ الشيءِ واللاشيءِ قابِع!...

يلعبانِ بي...ركلةً بعدَ ركلَة...ضربةً بعدَ ضربَة.

يستمتِعانِ بلُعبةٍ بغيضة على شاكِلةِ مُلاكمة...صِراعُ هواجِس.

البقاءُ فيهِ للأنكى...لمن يُخيفُني أكثر...كهاجِس فقدِكِ ذاتَ واقِع!...

_ جسدي شبهُ لون :

في أغوارِ السَّهر،اللامكانُ مجلسي،لا مجلسَ لي سواكِ.

على هامِشِ الكوكَب،حيثُ تختفي الأرضُ من الأرض،ويبتلِعُ بُعدكِ كلَّ أشكالِ الحياة.

هناكَ تماماً جالسٌ أنا في صمتٍ مُطبَق.

بلا حِراك...موتُ جسدي واضح...غارقٌ هو في عُتمة.

لهبٌ واحِد...ومئاتُ الظلال...تُحيطُه...تُميتُه...تكسوهُ وهماً...وتذروهُ همًّا.

لا حياةَ في الحياةِ بعيداً عن مدى حُضنِك...إنها شبهُ حياةٍ لا أكثر.

بلا أنتِ...جسدي شبهُ لون في لوحةِ بؤس!...

_ عِواءُ روحي :

على ضفافِ الرُّوح...تتراءى إرهاصاتُ أنين.

تيَّاراتُ وَجع...تُناجيكِ أرضها...تراكِ ضفَّة...على شاكِلةِ حُضن...تدُسُّ فيهِ انكساراتها.

أنا والرُّوحُ نشتاقُك...نريدُكِ لنا جِلداً...لا يهجُرُنا إلا سلخاً.

الرُّوحُ تَعْوي...استحلتُ ذِئباً...فهل أتاكِ عِواءُ روحي على هيئةِ حَرف...؟

_ التَّدلّي :

مشهدٌ أخير،يُكمِلُ اللوحَة،نتدَلّى فيهِ أنا وحُبي،من سقفِ حلُم،نحوَ أرضٍ واقع.

ها نحنُ ذا نَهوي...طالِعينا بنظرة...ارجِعي النظرَ كرَّتين...تتراءى لكِ النَّجوى.

ترينَ فينا اشتياقاً...طلبٌ دفين...بكاملِ عُتهِنا بكِ...نُريدُ بكِ التصاقاً لا يعقُبهُ انفكاك

نريدُكِ دِثاراً...فهل تقبلينَ الزَّواجَ بحبيبٍ يتدلَّى بكِ عُتهاً،وحبًّا جمًّا...؟

(تمَّـــت)